الخطاب التوجيهي في الحديث النبوي الشريف في ضوء اللسانيات التداولية

م.م.حسين علي حسين حسن

جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين محمد و آله الطيبين الطاهرين و صحبه المنتجبين ، و بعد ؛

للحديث النبوي الشريف مكانة عظيمة و أهمية كبيرة في ديننا الحنيف ، فقد بيّن الحديث الشريف الأحكام التي نزل بها القرآن الكريم ، من حيث تخصيص عامّه و تقييد مطلقه و تفسير مبهمه ...الخ ، فتتمثل أهمية الحديث الشريف كونه المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، فضلاً عن كونه التطبيق العملي للقرآن الكريم .

و الغاية من هذا البحث تتبع الخطاب التوجيهي و حضوره عند الرسول الكريم (ﷺ) من خلال أحاديثه المروية عنه ، و الكشف عن هذه الأحاديث و أهميتها في إيصال المعنى المطلوب ، فكل ما صدر عن نبينا الكريم (ﷺ) من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير جاء لتوجيه المسلمين كافة .

و لتحقيق ذلك ؛ أي تتبع الخطاب التوجيهي للرسول الكريم (ﷺ) من ناحية ، و الموقف من هذا الحضور الواضح في الدرس اللغوي الحديث ذي الطابع التربوي و الأخلاقي من ناحية أخرى نوزع عملنا على المطالب الآتية :

المطلب الأول : مفهوم الخطاب في الثقافة العربية الإسلامية و الغربية .

المطلب الثاني : جمالية و بلاغة الخطاب في الحديث النبوي الشريف ، فنبينا الكريم أبلغ العرب و أفصحهم لساناً ، فكلامه المنبع الذي تستقى منه علوم البلاغة و يتمثل به أهل الفصاحة و البيان .

المطلب الثالث : التعريف بالخطاب التوجيهي و بيان أهميته و مدى تأثيره في المجتمع .

المطلب الرابع : الوسائل اللغوية في الخطاب التوجيهي في الحديث النبوي الشريف ، ومن أهمها : الأمر ، النهي ، النداء ، التحذير ، التوجيه بذكر العواقب ....الخ .

و توصل البحث إلى نتائج عدّة من أهمها :

- ❖ أن التعدد في مفاهيم الخطاب و المنطلق من تعدد التصورات والنظريات جعلها تحقق التكامل في تحديد مفهوم الخطاب من جوانبه المختلفة (اللسانية ، والتواصلية) ،فالخطاب وحدة تواصلية إبلاغية ، ينتجه مخاطِب معين، ويوجهه إلى مخاطَب معين، ويكون ضمن سياق معين.
- ❖ جمالية الألفاظ و المعاني في الخطاب التوجيهي واضحة و صريحة ، إذ كان الرسول عليه و على آله أفضل الصلاة و السلام يستعمل كل مافيه من جمالية لإبلاغ المخاطب بما فيه مصلحة الفرد و المجتمع ، فكانت ألفاظه بغاية البلاغة و الجزالة لا ينفر منها السامع .
- ❖ يؤدي السياق دورا مهما في تحديد نوع الخطاب ، وكذلك في فهم الخطاب ،إذ اختلف السياق في الأحاديث النبوية مما جعل أساليب تخاطبه مع الناس تختلف من سياق لآخر.
- ❖ اهتم العلماء العرب القدماء بالأفعال التوجيهية واتضح ذلك من خلال الدراسات النحوية والبلاغية والأصولية .
- ❖ اعتمد الرسول عليه الصلاة والسلام على الخطاب التوجيهي ؛ لأنه الأنسب لتوجيه الناس إلى ما جاء به الإسلام .
- ❖ إن وجه المنفعة في الأحاديث النبوية هو باتجاه المرسَل إليه ؛لأن الرسول عليه الصلاة والسلام وجه الناس إلى ما فيه خير ومنفعة لهم .

- ❖ تعدد آليات التوجيه في الأحاديث النبوية الشريفة فقد تنوعت بين أمر ونهي وتحذير، وعرض ، ونداء.
- ❖ أكثر آليات التوجيه في الحديث النبوي هي الأمر والنهي ؛ لكونها الأكثر استعمالا في اللغة العربية والأكثر وضوحا.
- ❖ تعدد معاني الأمر في الحديث النبوي الشريف .وذلك لتعدد السياقات .
- ❖ استعمل الرسول عليه الصلاة والسلام الأمر بصيغة فعل الأمر" افعل" في أكثر الأحاديث.
- ❖ احتواء كثير من الأحاديث على أكثر من آلية من آليات التوجيه.
- ❖ أستعمل الرسول الكريم – كما بيّنا – أكثر من أسلوب لغوي في خطابه التوجيهي ؛ و ذلك إن دلّ على شيء فإنّما يدل على إحاطته عليه الصلاة و السلام باللغة العربية و معانيها و أساليبها .

مدخل :

الحمد لله ربِّ العالمين و الصلاة و السلام على سيد الخلق أجمعين محمد و آله الطيبين الطاهرين و صحبه المنتجبين ،و بعد ؛

فإنّ الاهتمام بالخطاب لم يكن وليد اللسانيات الحديثة بل كانت له جذور وامتداد في الدراسات القديمة وكانت البدايات بنحو الجملة .وقد حظي الخطاب باهتمام الكثير من الفروع، كالفلسفة واللسانيات والفقه والنقد، واختلفت الرؤى بين هذه الفروع من نواحٍ كثيرة، فمن ناحية المفهوم لا نجد اتفاقا حول مفهوم محدد وشامل فقد أعطت كل نظرية مفهوما خاصا للخطاب يختلف عن مفهوم النظريات الأخرى، ومن الناحية الشكلية، اختلفوا حول العناصر المكونة له ودور كل منها في إنتاجه . واهتمت الدراسات القديمة بعنصرين مكونين له هما المخاطِب والمخاطَب عند القدامى أو المرسِل والمرسَل إليه في الدراسات اللسانية الحديثة، والتي أضافت عناصر أخرى لمكونات الخطاب وهي السياق وماله من دور في تشكيله، وكذا المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب ومالها هي الأخرى من دور ،كما اهتمت اللسانيات الحديثة ولاسيما اللسانيات التداولية بالخطاب الذي شكل اهتمامها الأكبر مع التركيز على عنصر التداول فيه والقصدية من وراء إنشائه، كما ركزت اللسانيات التداولية على تحديد الأهداف التي من أجلها أنشئ الخطاب، وكيفية استعمال اللغة والتعامل معها .

ونظراً لما تحفل به الأحاديث النبوية من خطاب عام للمسلمين يتضمن توجيهاً و حثاً لهم لما فيه مصلحتهم العامة ؛ و لكونه المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، فضلاً عن كونه التطبيق العملي للقرآن الكريم إرتأيت أن أقف عند جزيئة من الخطاب في الحديث النبوي الشريف و هو (الخطاب التوجيهي) .

و الغاية من هذا البحث تتبع الخطاب التوجيهي و حضوره عند الرسول الكريم (ﷺ) من خلال أحاديثه المروية عنه ، و الكشف عن هذه الأحاديث و أهميتها في إيصال المعنى المطلوب ، فكل ما صدر عن نبينا الكريم (ﷺ) من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير جاء لتوجيه المسلمين كافة .

و لتحقيق ذلك ؛ أي تتبع الخطاب التوجيهي للرسول الكريم (ﷺ) من ناحية ، و الموقف من هذا الحضور الواضح في الدرس اللغوي الحديث ذي الطابع التربوي و الأخلاقي من ناحية أخرى ، نوزع عملنا على المطالب الآتية :

المطلب الأول: مفهوم الخطاب في الثقافتين العربية الإسلامية و الغربية .

المطلب الثاني : جمالية الخطاب في الحديث النبوي الشريف وبلاغته.

المطلب الثالث : التعريف بالخطاب التوجيهي و بيان أهميته .

المطلب الرابع : الوسائل اللغوية في الخطاب التوجيهي في الحديث النبوي الشريف.

المطلب الأول

مفهوم الخطاب في الثقافتين العربية الإسلامية و الغربية

تتسم اللغة العربية بسعة معجماتها ،ولكن على الرغم من هذا فإن علمائها المحدثين يواجهون في كثير من الأحيان صعوبات في تحديد مفاهيم بعض المصطلحات ولاسيما العلمية منها والوافدة من لغات أخرى ، فإذا كانت اللغة وسيلة للتعبير عن كل الأفكار " فالمصطلح ألفباء العلم ، كل علم، وأي علم كان"[١].

ولتحديد المصطلح أهمية كبيرة ،وفي هذا الشأن قال فولتير مقولته الشهيرة "قبل أن تتحدث معي حدد مصطلحاتك " [٢] وهنا إشارة إلى أنّه على المتكلم أن يكون على بيِّنة بالمصطلحات التي يستعملها.

ولفظ الخطاب من الألفاظ التي تتردد كثيرا بالاقتران مع صفات أخرى مثل الخطاب السياسي ،الخطاب الثقافي ، الخطاب الديني....[٣]

ومما يساعد على معرفة دلالة الخطاب في الثقافة العربية وروده في القرآن الكريم في مواضع عدّة ،فضلاً عن وروده في المعجمات العربية فقد جاءت مادة (خطب) في لسان العرب لابن منظور الإشبيلي (ت٧١١ه) : بمعنى الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان ، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي

شأن .قال الليث : إن الخطبة مصدر الخطيب ، لا يجوز إلا على وجه واحد ، هو أن الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب ، فيوضع موضع المصدر[٤]

أما في القرآن الكريم فقد ورد لفظ الخطاب في مواضع عدّة وبصيغ متعددة من ضمنها صيغة الفعل في قوله تعَالَىٰ:﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ ﴾(هود: ٣٧) قَالَ تعَالَىٰ:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾(الفرقان: ٦٣) ، وبصيغة المصدر قَالَ تعَالَىٰ:﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ ﴾ النبأ: ٣٧ ، و قوله تعالى﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠ ﴾ (ص:٢٠)

وقال بعضهم قوله تعالى : ((وفصل الخطاب)) هو أن يحكم بالبينة أو اليمين ، وقيل معناه : أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده ، وقيل : فصل الخطاب : بمعنى الفقه في القضاء[٥].

أما الزمخشري فيرى أنه " يجوز أن يراد بمعنى الخطاب في الآية القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل ويقول الفصل بمعنى التمييز بين الشيئين وقيل الكلام البين : فصل بمعنى مفصول ، لأنهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط ، فقيل في نقيضه فصل أي مفصول بعضه من بعض ، فمعنى فصل الخطاب : البين من الكلام الملخص الذي يبينه من يخاطب به ويلتبس عليه ... وإن شئت كل الفصل بمعنى الفاصل ... وأردت بفصل الخطاب : الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والصواب والخاطئ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمنشورات "[٦] ، فضلاً عن وروده في الحديث الشريف [٧].

ولفظ الخطاب أكثر ما يرد عند الأصوليين، لأن غايتهم هي معرفة كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة والتي هي الخطاب[٨]، فالخطاب هو اللبنة الأولى التي تقوم عليها أعمالهم، ولذلك اهتموا به من خلال المعرفة بمفهومه وأقسامه وموضوعه والعناصر اللغوية التي تشكله والعناصر غير اللغوية التي تسهم في عملية الفهم . غير أن بعضهم أهمل مفهومه، في حين عرفه بعضهم بأنه " أحد مصدري فعل خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة ، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم ، نقل من الدلالة على الحدث المجرد عن الزمن إلى الدلالة على الاسمية فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطِب به وهو الكلام "[٩].

فالخطاب بهذا لا بد من أن يكون موجهاً إلى من يملك القدرة أو من هو مهيأ لفهم الكلام الموجه إليه ، وجعل الخطاب هو ذاته الكلام و قد عرفه بعضهم بأنّه: " الكلام والخطاب والتكلم والتخاطب والنطق واحد في حقيقة اللغة وهو ما به يصير الحي متكلما " [١٠] ، فضلاً عن أنّه " ما يفهم منه الأمر والنهي والخبر "[١١]، فالخطاب لابد من أن يفهم منه الأمر والنهي والخبر ، فمن فهم منه أحد هذه الأمور فقد فهم كله " فإن كل أمر نهي وخبر ، وكل نهي أمر، وكل خبر أمر ونهي "[١٢]، فإذا نُهي أحد بترك شيء فإنما هو في الحقيقة أمر يتركه ، وإذا أمر فإنما أمر بفعل

شيء أو بتركه ،والأمر هو أمر بالفعل أو بالترك ، كما قد يأتي الخبر بصيغة الأمر وذلك في مثل قوله تعالى :﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (التوبة: ٨٢)وفسر ابن فارس(ت٣٩٥ه) هذه الآية بقوله : هو إخبار بصيغة الأمر [١٣].

و يُعرّف الخطاب في الثقافة الغربية بأنّه : الكلام الموضوع في الاستعمال أو اللغة المضطلعة من طرف الفاعل المتكلم وهو بهذا المفهوم (مرادف: الكلام)،أو هو: وحدة مساوية أو أعلى من الجملة ، وهو مكون من سلسلة مشكلة رسالة لها بداية ونهاية ، فهو مرادف : للملفوظ ،أو يعني كل الملفوظات الأعلى من الجملة[١٤]

يلاحظ في هذه التعريفات أن الخطاب له جانبان :جانب شكلي ،وجانب وظيفي ،ويتضح الأول في كون الخطاب بناء أو كتلة تفوق أو تساوي الجملة ومن ثم فهو مكون من وحدات متماسكة ومنسجمة ،و أما الجانب الثاني فينظر إلى الخطاب بأنه استعمال اللغة من طرف الفاعل المتكلم.

و قد عرّفه " إميل بنفنست " أنه " يجب أن يفهم الخطاب بأوسع معانيه على أنه كل ملفوظ يفترض متكلما ومستمعا وفي نية الأول التأثير على الآخر بأية طريقة "[١٥] ، وتعريف الخطاب بوصفه ملفوظا يمثل نقطة تقاطع بين المنهجين الشكلي والوظيفي لأن الخطاب يتخذ من الجملة أساسا له ، ولكن بمفهومها التلفظي في السياق ، أو بوصفها مجموعة من الوحدات اللغوية الصغيرة التي لها سياق معين ، بمعنى أدق الخطاب مكون من جمل سياقية[١٦].

من التعاريف السابقة يتضح أن للخطاب معاني متعددة ،فهو وحدة بلاغية تواصلية ناتجة عن مخاطب معين، وموجهة إلى مخاطَب معين ،في مقام وسياق معينين ،وبالانطلاق من وضع محدد يُدرس في ضمن ما يسمى الآن ب " لسانيات الخطاب"[١٧] .

وهذا التعدد في معاني الخطاب مرجعه تباين الاتجاهات التي ينتمي إليها الباحثون فكل تعريف يمثل وجهة نظر اتجاه معين ، وهذا الكم من التعاريف زاد من سعة دائرة الغموض التي تحيط بالخطاب بدل أن تقلص منها ، وهذا ما قاله (ميشال فوكو) : " بدل أن أقلص من معنى كلمة " خطاب " وما لها من اضطراب وتقلب اعتقد أنني في حقيقة الأمر أضفت لها معاني أخرى بمعالجته أحيانا كمجال عام للعبارات وأحيانا أخرى، كمجموعة من العبارات الخاصة ، أو ممارسة منظمة تفسر وتبرر العديد من العبارات "[١٨]، فهذه الممارسات أو المعالجة التي أعطاها فوكو للخطاب أدت إلى توسيع معنى الخطاب عنده ، وما يجعل عملية تعريف الخطاب أكثر تعقيدا هو أن أغلب الباحثين عند استعمالهم لهذا المصطلح لا يحددون بأي تعريف من هذه التعاريف يأخذون فضلاً عن ذلك فإن جلّ الباحثين قد يبلغ بهم الأمر إلى تغيير هذه التعاريف الأساسية[١٩]

المطلب الثاني

جمالية و بلاغة الخطاب في الحديث النبوي الشريف

إنّ الحديث عن جمالية و بلاغة الحديث النبوي الشريف؛ معناه البحث في بلاغة الحديث النبوي والكشف عن خصائصه وصفاته البلاغية، وسماته الأسلوبية؛ وذلك لأن الجمال من أبرز صفات البلاغة، ومن أظهر مميزاتها، فهي تقدم الكلمة والكلام بأسلوب جمالي جامع للفكر ومثير للمشاعر. وقد اهتمت علوم البلاغة منذ نشأتها بالبحث عن الخصائص الجمالية والأسلوبية التي تميزت بها النصوص الأدبية بصفة عامة والقرآن الكريم بصفة خاصة. والحديث النبوي نص أدبي بلغ الذروة من البيان والجمال،فليس من العجيب أن يوليه العلماء منذ القديم أهمية بالغة، للكشف عن المعالم الجمالية في لفظه ومعناه وصوره وتراكيبه.

فضلاً عن أنّ " الحديث النبوي في الذروة من البيان، ولا يرتفعُ فوقهُ في مجال الأدب الرفيع إلا كتابُ الله بلاغةً وفصاحةً "[٢٠]. يقول مصطفى صادق الرافعي فيما صح نقلهُ من كلام النبي (ﷺ)، عن جهة الصناعتين اللغوية والبيانية،: "رأيتهُ في الاولى مسددة اللفظِ، محكمَ الوضع، جزلَ التركيبِ، متناسبَ الاجزاءِ في تأليفِ الكلماتِ، فخمَ الجملةِ، واضحَ الصلةِ بين اللفظِ ومعناه، واللفظ وضريبه في التأليفِ والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً، ولا لفظةً مستدعاة لمعناها او مستكره عليه؛ ورأيته في الثانية – البيانية – حسنَ المعرض، بينَ الجملةِ، واضحَ التفصيل، ظاهرَ الحدودِ، جيدَ الرصف، متمكنَ المعنى، واسعَ الحيلةِ في تصريفه، بديعَ الاثارةِ، غريبَ للمحة، ناصعَ البيانِ، ثم لا ترى فيه إحالةً ولا استكراهاً، ولا ترى اضطراباً ولا خطلاً[٢١]، ولا استعانةً من عجز، ولا توسعاً من ضيق، ولا ضعفاً في وجهٍ من الوجوه..."[٢٢].

وقد حوت أحاديث الرسول(ﷺ)، صنوف البلاغة، وألوان الجمال والفصاحة، وكانت من أبرز مظاهر عظمته، وأبرز دلائل نبوته، وعبرت أدق تعبير عن سمو نفسه، صلى الله عليه وسلم، وأبانت عن المنبع العذب الذي نهلت منه. وقد تبارى العلماء والبلغاء في وصف فصاحته، وما امتاز به كلامه(ﷺ) من جمال وبلاغة جعلته يتربع على قمة الأساليب البشرية. ومن أفضل ما قيل في ذلك ما سجله الجاحظ رائد البلاغة العربية حيث يقول: "وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمته، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أصدق لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه، صلى الله عليه وآله وسلم، كثيرا"[٢٣].

وسيكون حديثنا في هذه الجزيئة منصباً على جملة من الأسس الجمالية والفنية، التي تحققت في أحاديثه(ﷺ)ويمكن أن نحددها في العناصر الآتية:

١. جمالية الألفاظ:

اهتمت الدراسات البلاغية العربية القديمة بجمالية اللفظ اهتماما بالغا؛ إذ اعتبرت جمال اللفظ وإعجازه، وجمال الأدب (شعره ونثره) في بلاغة اللفظ وعذوبته. وقد أرجع علماء البلاغة جمال اللفظ المفرد وفصاحته إلى أمور عدة نذكر منها[٢٤]:

- أن تكون حروف الكلمة متباعدة المخارج..
- أن لا تكون الكلمة غريبة متوعرة أو وحشية لا يمكن استيعابها وفهمها..
- ألا تكون الكلمة عامية مبتذلة تنفر منها الأسماع والأذواق..
- أن تكون الكلمة معتدلة في عدد حروفها.

هذه بعض الشروط التي وضعها البلاغيون لتجميل اللفظ وتزيينه وتنقيحه وتهذيبه. وهي كلها شروط تخدم الجمال الفني والصياغة الأدبية؛ إذ تركز كلها على اختيار الألفاظ، وسلامة النطق، وتحقيق النغم والانسجام الصوتي، إلا أن عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١ه) رفض أن يكون للكلمة المفردة أية مزية أو فضيلة إلا إذا استخدمت في سياق ما، وانسجمت مع ما قبلها وما بعدها؛ فالكلمة المفردة مجرد علامة اصطلاحية للإشارة إلى الشيء، وإنما تكتسب الكلمة جمالها ودلالتها من علاقاتها بالكلمات السابقة لها أو اللاحقة بها، بحيث يصبح لها وظيفة نحوية وأخرى بلاغية ترتبط بالإمتاع والفائدة. يقول عبد القاهر الجرجاني: "لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل، و لا يخفى على أحد من الناس."[٢٥]

ولتوضيح فكرته والاستدلال على صحتها يقول في موضع آخر: "وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها. فإذا قلنا في لفظة (اشتعل) من قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾(مريم: ٤)أنها في أعلى مرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها (الرأس) معرفا بالألف واللام، ومقرونا إليهما (الشيب) منكرا منصوبا"[٢٦] . ونعتقد أن المنهج العلمي الموضوعي هو الذي يسعى إلى استخلاص الجمال البلاغي في اللفظ المفرد، ويبحث عنه أيضا في التأليف والنظم، حيث ترتبط الألفاظ بعضها ببعض بعلاقات نحوية وبلاغية؛ فجمال الألفاظ له أثر كبير في إمتاع النفوس وإطرابها، وتهيئتها لقبول تأثير المعاني التي تتضمنها. ولا تبلغ الألفاظ مداها في الجمال والإبلاغ والتأثير إلا إذا وضعت في تركيب معين ونظمت في سياق خاص، وارتبط بعضها ببعض داخل العبارة أو الجملة. يقول حسين جمعة: "فالكلمة في العربية ذات ظلال وإيحاءات كثيرة، وهي، أيضا، ذات طبيعة علمية؛ إذ تعبر عن الحقائق كيفما كانت، وفي أي اتجاه اتجهت. فكيفما قلبتها لبت لك ما تبتغي وكأنها لا تنفذ، بل كأن كلام الله تعالى الذي لا ينفذ يصدق عليها في قوله سبحانه﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

(الكهف: ١٠٩) فالكلمة في العربية تقوم على معان نحوية وصيغ بلاغية لا نظير لها في اللغات الأخرى. وكلما تأمل فيها الباحث العارف والعالم بأسرارها، وأدرك إشاراتها وغاياتها البعيدة والقريبة تأكد له ذلك"[٢٧]

وقبل أن نشرع في الحديث عن جمالية الألفاظ في الحديث النبوي الشريف، نشير إلى أنه(ﷺ) كان يمتلك معجما لغويا كبيرا، ساعده على انتقاء الألفاظ المناسبة لأحاديثه. فهو من قريش، ونشأ في بني سعد بن بكر. فجمع بذلك بين فصاحة مكة مهد الصبا، وفصاحة بني سعد البدوية المتينة.

وقد تميزت مفرداته(ﷺ) بالفصاحة والجزالة والفخامة، والوضوح في الدلالة والخلوص من كل بشاعة أو عيب. فقد جمع في كلامه بين جزالة البداوة وفصاحتها، ورقة التحضر وعذوبته، لذلك جاء كلامه جزلا في رقة، متينا في عذوبة. أما تلك الألفاظ الغريبة التي يوردها أهل الغريب، والتي صح نسبتها إلى النبي الكريم، فكان مردها إلى اختلاف المخاطبين الذين خاطبهم الرسول(ﷺ) فقد كان منهم أعراب موغلون في البداوة، وأصحاب منغمسون في رقة المدينة، فخاطب كل طائفة بما يوافق أحوالهم. يقول محمد الخطابي مبينا سبب ورود الغريب في حديثه، ﷺ: "إنه، ﷺ، بُعث مبلغا ومعلما، فهو لا يزال في كل مقام يقومه وموطن يشهده يأمر بمعروف وينهى عن منكر، ويشرع في حادثة ويفتي في نازلة، والأسماع إليه مصغية والقلوب لما يرد عليها من قوله واعية... وقد يتكلم، ﷺ، في بعض النوازل بحضرته أخلاط من الناس قبائلهم شتى ولغاتهم مختلفة، ومراتبهم في الحفظ والإتقان غير متساوية، وليس كلهم يتيسر لضبط اللفظ وحصره، أو يتعمد لحفظه ووعيه، وإنما يستدرك المراد بالفحوى ويتعلق منه بالمعنى ثم يؤديه بلغته، ويعبر عنه بلسان قبيلته"[٢٨]

وإذا انتقلنا الآن للحديث عن جمالية ألفاظ الحديث النبوي الشريف، نقول : إنه، ﷺ، اتصف ببراعة فائقة في اختيار ألفاظه، ومراعاته الفروق اللغوية الدقيقة بين معاني الكلمات، فيضع كل نوع منها: "موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره، جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"[٢٩] فقد يشترك لفظان في معنى واحد، ولكن أحدهما أدق من الآخر في الدلالة على المعنى، وأقدر على التعبير عنه من اللفظ الآخر؛ لأن لكل لفظة منهما "خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها"[٣٠] ولأجل بيان ذلك نأتي بنماذج:

يقول الرسول (ﷺ) في حديث طويل هذا طرف منه: "إن ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير"[٣١] فلفظ (الغيث) في الحديث مختار من بين ألفاظ كثيرة قريبة منها، كلفظ: (الطل والندى

والرذاذ والودق والوابل) إلى غير ذلك من أسماء المطر، بحيث يؤدي المعنى المراد على أدق وجه وأوفاه بما لا تؤديه الألفاظ الأخرى. لقد قلنا سابقا إن لكل نوع من المعنى نوع من اللفظ هو به أولى وأنسب، وكان إلى الفهم أقرب، وكان السمع له أدعى والنفس إليه أميل. فلفظة (الغيث) تفيد المطر الذي يأتي عند الحاجة إليه[٣٢]. ويأتي دائما ملائما نافعا غير مؤذ ولو كثر. فكما أن الغيث يحيي الأرض الميتة فتظهر فيها الأشجار والأزهار، فكذلك علوم الدين تحيي القلب الميت. والرسول (ﷺ) إنما استعمل هذه اللفظة ليدل على اضطرار الخلق إليه، وشدة الاحتياج إليه. فالله تعالى قد أرسل رسوله رحمة للعالمين، يقول تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وليدل كذلك على الخيرية العالية التي يحملها الإسلام المشبه بالغيث. يقول القرطبي :"ضرب النبي، ﷺ، لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي في حال حاجتهم إليه، وكذا كان الناس قبل بعثته، ﷺ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت"[٣٣]

ومن براعته(ﷺ) في تنزيل اللفظ منزلته الأخص به، استعمال لفظ (جعل) بدل لفظ (أحس) في قوله: "من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"[٣٤] فقد كان بإمكانه(ﷺ)أن يقول (أحس بالفقر) بدلا من قوله :(جعل الله فقره بين عينيه)، ولكن شتان بين العبارتين؛ وذلك لأن لفظة (جعل) أفادت من المعاني الدقيقة واللطيفة ما لا تفيده كلمة (أحس)؛ فالرسول(ﷺ) عبر عنه بقوله: "جعل الله فقره بين عينيه" عن الإحساس الدائم المتجدد بالفقر على الرغم من الغنى، وعن الشعور بالاحتياج الدائم على الرغم من الاستغناء، وجعل هذه المشاعر حاضرة على نحو دائم؛ لأنها معلقة بين عيني صاحبها لا تحيد. يقول الشريف الرضي: "وهذا الكلام مجاز، والمراد به أن من جعل الدنيا همه، وقر عليها باله، وأعرض عن الآخرة بوجهه، وأخرج ذكرها من قلبه، وأقبل على تثمير الأموال، واستضخام الأحوال، عاقبه الله على ذلك بأن يزيده فقر نفس وضرع خد[٣٥] فلا تسد مفاقره[٣٦] كثيرة ما جمع وعدد، وعظيم ما أثل[٣٧] وثمر. فكأنه يرى الفقر بين عينيه، فهو أبدا خائف من الوقوع فيه والانتهاء إليه، فلا يزال آكلا لا يشبع وشاربا لا ينقع[٣٨]. فمعه حرص الفقراء، وله مال الأغنياء"[٣٩]

وتتجسد لنا أيضا جمالية ألفاظ الحديث النبوي الشريف وبراعة الرسول(ﷺ) في اختيار ألفاظه، وتمكنه الرفيع في التصرف بمفرداته مع مراعاة المقام وملاءمة السياق، قوله، ﷺ، حينما اشتدت المعركة بين المسلمين والكافرين يوم حنين: "الآن حمى الوطيس"[٤٠]؛ ومعنى الحديث (اشتدت الحرب). والوطيس: التنور أو هو حفرة تحفر فتملأ بالحطب فتوقد فيها

النار للاشتواء. وكلمة (وطيس) مستعملة استعمالا مجازيا، ولو جئنا بلفظ آخر في معناه واستعملناه استعمالا مجازيا كذلك فقلنا (استعرت الحرب) أو (اشتعلت الحرب) لما أفاد من المعاني الدقيقة ما أفادته عبارة (حمى الوطيس). فقد شبه الرسول، ﷺ، اشتداد المعركة في ساحة القتال باستعار النار في الوطيس. والحرب لا نار لها على الحقيقة، وإنما شبهت بالنار؛ لأنها تأكل أهلها كما تأكل النار حطبها. فالحديث يخيل للسامع أن صورة اشتداد المعركة في ساحة القتال شبيهة بصورة النار في التنور في حميمها وتوقدها، وهذا لا يوجد في عبارة (استعرت الحرب) وما جرى مجراها. فهذه العبارة من أجمل العبارات وأوقع الاستعارات، وتنم عن بصيرة فذة كامنة وراء هذا التعبير المجازي الجميل. يقول الشريف الرضي: "فقوله، عليه الصلاة والسلام، (الآن حمى الوطيس) وهو يعني حَمَس الحرب وعظم الخطب، مجاز؛ لأن الوطيس في كلامهم حفيرة تحتفر فيوقد فيها النار للاشتواء، وتجمع على وُطس... ولا وطيس هناك على الحقيقة، وإنما المراد ما ذكرنا حر القراع وشدة المِصاع[٤١]، والتفاف الأبطال، واختلاط الرجال. ومن هنا قالت العرب أوقدت نار الحرب بين آل فلان وآل فلان. وقال الله سبحانه مخرجا الكلام على مطارح لسانهم ومعارف أوضاعهم: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ (المائدة: ٦٤) وتشبيه الحرب بالنار يكون من وجهين: أحدهما لحر مواقع السيوف، وكرب ملابس الدروع[٤٢]، وحمي المعترك لشدة العراك وكثرة الحركات. والوجه الآخر أن يكون إنما شبهت بالنار؛ لأنها تأكل رجالها، وتفني أبطالها، كما تأكل النار شعلها وتحرق حطبها."[٤٣]

٢. جمالية المعاني :

ويتجلى هذا الجمال في عمق معانيه(ﷺ) وغناها بالدلالات البلاغية، وورودها في صور متعددة، كالتشبيه والاستعارة والنهي والأمر، وتكثيف المعنى في عبارات قليلة. وهو ما وصف الرسول، ﷺ، به نفسه بقوله: "بعثت بجوامع الكلم"[٤٤]؛ والمقصود بجوامع الكلم: الإيجاز. والإيجاز عند البلاغيين من شروط جمال الكلام وبلاغته. ومعناه: "تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى"[٤٥]؛ فلا يكون في الكلام إيجاز حتى تأتي الألفاظ على قدر المعاني لا تزيد عنها ولا تنقص، وإنما الشرط أن يتم ذلك من غير إخلال بالمعنى، وإلا كان الكلام تقصيرا. فالإيجاز بلاغة وجمال لأنه لا يظهر فيه إخلال بالمعنى المدلول.

وإذا تأملنا كلام الرسول(ﷺ) نجد أن أحاديثه، وإن نظمت بألفاظ قليلة، لكنها اشتملت على كثير من المعاني والحقائق والأسرار الجمالية. وقد سلِم كلامه(عليه الصلاة والسلام) بهذا الإيجاز من الإطناب الذي يؤدي بالسامع إلى الملل، ومن الوقوع في العيب والخطأ. يقول محمد خطابي: "وقد أمد الله رسوله جوامع الكلم التي جعلها رَدئا لنبوته، وعلما لرسالته، لينتظم في القليل منها علم الكثير، فيسهل على السامعين حفظه ولا يؤودهم حمله"[٤٦]. ونقدم نماذج من أحاديث

الرسول(ﷺ) بلغت السقف في جمال المعنى وسموه، وعدّها البلاغيون، من منظور بلاغي بياني، أمثالا نبوية سائرة، لأنها ذاعت وشاعت وطبقت شهرتها الآفاق.

فمن جوامع كلامه(ﷺ) قوله: "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات"(٤٧). لقد جمع هذا الحديث من المعاني الجميلة ما تتقاصرمن دونه ملكات البيان، فهو يوحي بصورة بلاغية جميلة أطلق عليها علماء البيان الاستعارة المكنية. وقد ورد الحديث في مجال الحث على ترك الشهوات والمعاصي، وإن مالت إليها النفوس، والحرص على الطاعات وإن كرهتها . ففي الحديث يوضح لنا النبي الكريم أن الطرق المفضية إلى الجنة كلها شاقة، ومسالكها صعبة ووعرة. فهي قد حفت بالمكاره والأشواك، والمراد أن جميع الأفعال التي توصل إلى الجنة يتطلب فعلها مشقة وجهدا وصبرا. وفي هذا توجيه بليغ إلى أن كل من يريد الجنة عليه أن يتزود في رحلته الشاقة المحفوفة بالأشواك والمخاطر، وخير زاد يتزود به الإنسان تقوى الله ومقاومة شهوات النفس وهواها. ثم يبين لنا سهولة طريق النار؛ لأن الأفعال المفضية إليها ملائمة لطباع الناس، لما فيها من لذائذ وشهوات وإغراءات. يقول بكري شيخ أمين مبينا الأسرار الجمالية في هذا الحديث: "حفت: أحيطت، من حفيف الأشجار، وهو صوت أوراقها عندما تهزها الرياح، واللفظ خفيف الوقع على السمع، وله عذوبته الموسيقية، وجرسه الجميل، وكذلك المعنى الذي يعبر عنه به. ولكن بمقدار هذه النعومة يكون التغلغل الخطر العميق والبعيد، فالرياح لا نراها، ولكن بها تتساقط أوراق الخريف، وتتلف الزروع، وتقتلع الأشجار إذا تمادت ريحا صرصرا عاتية. ولذلك جاءت بصيغة الفاعل المجهول الذي يفعل كل شيء، ولكن من وراء ستار، ويترك لسواه يظهر بما ليس فيه، نافعا أو ضارا، جميلا وغير جميل، ومن ذلك الشهوات تدب دبيب النمل، وتسري مسرى الدم، وترتدي الثوب الجميل، وفي باطنها السم الزعاف والمكاره... وهي معركة الخير والشر دائمة لا تنتهي أبدا"(٤٨)

ومن جوامع كلمه، (ﷺ): "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"(٤٩)الحديث قبس من قبسات النبوة، وهو يوحي بصورة جميلة هي التي أطلق عليها علماء البيان التشبيه البليغ. حيث يشبه، عليه السلام، مقام المؤمن في الدنيا بحال رجل مقيم في بلاد غربة. فكما لا نجد في الغريب ركونا إلى الأرض التي حل فيها أو أنسا بأهلها، ولكنه مستوحش في مقامه مهما طالت إقامته لا يشغل نفسه بدنيا الناس، بل يكتفي باليسير منها. فكذلك حال المؤمن مع الدنيا، فلا ينبغي له أن يتخذها وطنا أو مسكنا فيطمئن فيها، وإنما ينبغي أن يكون فيها كالغريب مهما طالت إقامته في البلد الذي اغترب فيه، فإنه ليس من أهله وسيعود يوما ما إلى بلده، فهو دائما على جناح سفر يهيئ جهازه للرحيل: "ومن كان في الدنيا كذلك، فلا هم له إلا التزود بما ينفعه عند عوده إلى وطنه، فلا ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم، في عزهم، ولا يزعج من الذل عندهم"(٥٠)؛ فالحديث احتوى معانٍ عظيمة، وحكما بالغة. فهو يشير إلى قصر الأمل في الدنيا التي أغرت الناس وألهتهم عن آخرتهم، فاتخذوها وطنا ومحلا لإقامتهم.

ومن جوامع كلمه، ﷺ: "المؤمن مرآة المؤمن."[٥١] هذا الحديث يقوم على ركيزتين جماليتين: الأولى: التشبيه، والثانية: الإيجاز. فقد تألف الحديث من ثلاث كلمات فقط، ولكنه حوى كثيرا من المعاني. فالنبي الكريم بهذه العبارة الموجزة يشبه المؤمن في علاقته بأخيه المؤمن بالمرآة التي تكشف العيوب والمحاسن، وكذلك المؤمن يكشف لأخيه ما به من عيوب ومحاسن، ويصدق أخاه النصيحة ويريه: "مواقع رشده ويطلعه على خفايا عيبه، فيكون كالمرآة له ينظر فيها محاسنه فيستحسنها ويزداد منها، ويرى مساوئه فيستقبحها وينصرف عنها"[٥٢] والحديث بلغ الغاية في التصوير وفي تحقيق الدلالات الكثيفة والمعاني الجميلة. فالمسلم يعمل عمل المرآة لصاحبها، فالمرآة تري الناظر الحسنات والسيئات بلطف، وكذا المسلم يبين لأخيه المسلم عيوبه ويبصره بأعماله بأسلوب حسن وكلام لطيف. والمرآة لا تكشف العيوب والمحاسن إلا لحاملها، وكذلك المسلم لا يفضح أخاه، بل يناصحه في السر. وكلما كانت المرآة أكثر صفاء وأكثر نقاء، كان عكسها للصورة أكثر وضوحا. ولذلك فالمؤمن لا يظهر لأخيه المؤمن عيوبه، ويخفي المحاسن أو العكس، وإنما هو كالمرآة يعكس الصورة الصحيحة من غير غش ولا خداع.

هذا غيض من فيض مما يزخر به البيان النبوي من جماليات لا حصر لها في المعاني والأفكار. وتبرز هذه الجمالية في استعمال الألفاظ القليلة للتعبير عن المعاني الكثيرة، مع وضوح في الألفاظ ودقة في التعبير، وتكثيف في الصورة. وبهذه الأمور وغيرها كان الحديث النبوي حاجة جمالية لعلماء البلاغة يبحثون في ألفاظه ومعانيه وأساليبه عن أسراره الجمالية مما أفاد وأثرى البلاغة العربية.

٣. جمالية التصوير:

سلك الرسول ﷺ طرائق فنية متعددة، توخى منها في المقام الأول، توجيه الإنسان المسلم توجيها عقديا وتربويا وأخلاقيا، ومن بين هذه الطرائق: التعبير بالصورة؛ ونقصد بالصورة ذلك التركيب اللغوي الذي تمتزج فيه الألفاظ بالمعاني في سياق بياني خاص وموحٍ بمعانٍ ودلالات، تحمل التأثير والتوصيل لتخلق انفعالا لدى المتلقي ومشاركة معه. إن وظيفة الصورة لا تنحصر في توضيح المعنى أو تحققه؛ لأن المعنى يمكن أن يتحقق بدونها أو بغيرها، وإنما تتجاوز ذلك إلى خلق معان خاصة غنية بالإيحاءات، التي لا يمكن أن يفي بها التعبير الحقيقي أو المباشر، لتحدث أثرا واستجابة في نفوس متلقيها.

وقد اهتمت الدراسات البلاغية القديمة بموضوع الصورة الفنية، وبتحديد ماهيتها ووظيفتها في العمل الأدبي بشكل عام، واهتمت كل الاهتمام بالتحليل البلاغي للصورة القرآنية وتمييز أنواعها وأنماطها المجازية بشكل خاص، باعتبار أن القرآن كان وسيظل المثل الأعلى للبلاغة العربية. وقد وجه كثير من العلماء عنايتهم إلى الآثار النفسية والجمالية التي تحدثها الصورة في نفوس متلقيها، ومدى قدرتها على تبليغ المعاني وتمثلها. ويعد عبد القاهر الجرجاني من أبرز النقاد والبلغاء العرب الذين اعتنوا بالصورة الفنية وأثرها في النص الأدبي و اللغوي، وبين النواحي الفنية والجمالية فيها، ووقف عند ماهيتها ومكوناتها، وعلاقتها بنفسية وذوق المبدع والمتلقي. يقول

عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"[٥٣]

فعبد القاهر الجرجاني في هذا النص يربط الصورة بدوافع نفسية، فضلاً عن الخصائص الذوقية، حيث تتضافر هذه الخصائص فيما بينها في نسج متين السبك، لتعطي الصورة شكلا ورونقا وعمقا مؤثرا. وحتى لا نوغل في الحديث عن مفهوم الصورة الفنية ووظيفتها الجمالية، نتيجة توسع الدراسات البلاغية في بحثها، ننتقل الآن للحديث عن الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف. فقد حفلت كثيرٌ من أحاديثه(ﷺ) بالتصوير، واتكأ عليه، (ﷺ) كفعالية فنية ترمي إلى التأثير في السامعين، واستثارة انفعالاتهم، فاكتسب بذلك الحديث الشريف قيمة فنية جمالية.

وقد استعمل (عليه الصلاة والسلام) وسائل التصوير المختلفة من كناية وتشبيه، واستعارة ومجاز، وغيرها من الأساليب. وهي كلها أساليب تعتمد على إبراز المعاني في هيئة مجسمة وصور حية متماسكة ومتحركة في آن واحد معا، وكأننا أمام لوحة فنية ممتعة. ولابد من تأكيد حقيقة هامة وهي أن الصورة الفنية في الحديث الشريف كما في القرآن الكريم تعتمد الوضوح، وتسعى إليه مهما كانت احتمالات تعدد المعنى. وقد كان لعلماء البلاغة قديما دور كبير في إبراز الشكل الفني للحديث الشريف، ونخص بالذكر الشريف الرضي في كتابه "المجازات النبوية"؛ أذ كشف عن جوانب كثيرة من معالم التصوير الفني في الحديث الشريف. ونقدم الآن بعض تطبيقات الصورة الفنية في حديثه، عليه الصلاة والسلام.

من الصور الفنية في الحديث الشريف ما ذكره الرسول(عليه الصلاة والسلام) لأصحابه وهم يتهيأون لخوض معركة بدر الكبرى حين قال: "هذه مكة قد رمتكم بأفلاذ[٥٤] كبدها"[٥٥] ومناسبة هذا الحديث أنه، (ﷺ)، حينما علم بخروج قريش لمحاربته في معركة بدر الكبرى، سأل رجلين كانا يسقيان الماء لقريش عن أشراف مكة المشاركين في المعركة، فأخبراه بخروج نخبة من الأشراف من بينهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف وغيرهم كثير من أشراف قريش. فقال الرسول(ﷺ) قوله هذا: "هذه مكة قد رمتكم بأفلاذ كبدها" وفي رواية أخرى: "قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها". والحديث في معناه الحقيقي والمباشر يفيد أن مكة دفعت إلى قتال المسلمين نخبة من أبنائها، وساداتها، وفرسانها، وممن يعول عليهم في الرأي والحرب. وهذا التعبير لا يثير أي انفعال أو تأثير عكس التعبير المجازي الاستعاري؛ فالاستعارة في الحديث كشفت عن إيحائية جديدة واستحدثت معنى جديدا في اللفظ، وجعلت العبارة ذات إيحاءات ودلالات

عاطفية وإنسانية لم يكشف عنها المعنى الحقيقي. قال عبد القاهر الجرجاني مبينا القيمة الفنية للاستعارة وما تحدثه من تأثير: "فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون"(٥٦)

والحديث يوحي بصورة فنية جميلة أطلق عليها علماء البلاغة "الاستعارة المكنية"؛ فهو يوحي بصورة الأم التي تلم بها النكبات، وتعصف بها الأهوال فتضطر مكرهة لدفع أبنائها إلى موقف قد تفقدهم فيه، فتفقد نفسها. فمكة تتبوأ في هذا التعبير مكانة الأم الحنون، والضلوع الحانية، والأفلاذ يمثلون الأبناء البررة الذين قذفت بهم الأم لحمايتها والذود عنها، وهم مستعدون لبذل الأرواح والتضحية بالأنفس من أجلها. يقول الشريف الرضي: "فكأنه، ﷺ، أقام مكة مكان الحشا(٥٧)، التي تجمع هذه الأعضاء الشريفة، كالقلب والنياط(٥٨)، والكبد والفؤاد، وجعل رجال قريش كشعب الكبد التي تحنو عليها الأضالع، وتجتمع عليها الجوانح، وقاية لها، ورفرفة عليها"(٥٩)

فهذه الصورة الجميلة، وهذه الانفعالات المختلفة التي توحي بها العبارة المجازية، هي التي دفعت بالشريف الرضي إلى القول إنها "من أنصع العبارات وأروع الاستعارات" (٦٠)ولكنها لم تستمد نصاعتها وجمالها من كونها تشبيها حذف أحد طرفيه، وإنما اكتسبتها بما أثارته من قيم جمالية ومشاعر نفسية.

ومن الصور الفنية في الحديث الشريف قوله ﷺ: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"(٦١) فمتأمل هذا الحديث لا يخفى عليه ما يشير إليه المعنى المباشر أو المعتاد للحديث. فكلمة الناس التي وردت في الحديث تشمل الناس جميعا: العربي والفارسي والهندي والرومي، وغيرهم. وقد جرت في حياة الناس وأعراف الشعوب مقاييس يتم من خلالها تقسيم الناس إلى طبقات، وهذه المقاييس منها ما يعود إلى الحسب، ومنها ما يعود إلى النسب، أو الحياة أو المال. والمجتمع العربي قبل الإسلام لم يكن بعيدا عن تلك التصنيفات، فكانوا كذلك يصنفون الناس إلى سادة وعبيد. وقد حرص الإسلام على تأصيل قواعد وأسس يتم من خلالها التفاضل بين الناس، فأمر أن يكون المقياس الأول هو الدين والأخلاق والعلم.

وحين نتدبر الملامح الفنية التي ارتفعت بهذا الحديث من حيث الصورة، وحددت خطوطها وألوانها، سنجد أن النبي، ﷺ، استعمل أسلوب التشبيه. ومعلوم أن الوظيفة البلاغية للتشبيه تقوم على تصوير المعنى، وتقديمه تقديما محسوسا، وذلك عن طريق ربط الصور الحسية، بأخرى أشد منها تمكنا في الصفات الحسية، وهذا ما يجعله قريبا من مجال الإدراك الإنساني، ويجعله أكثر قدرة على التأثير والتأثر(٦٢)؛ والصورة الفنية في الحديث طرفها الأول هو الناس (المشبه) والطرف الآخر هو المعادن (المشبه به) والأداة والصفة المشتركة لم ينص عليهما،

ولذلك فهو تشبيه بليغ، فحذفهما يوحي بالالتحام والارتباط بين طرفي الصورة. وإذا أمعنا النظر وجدنا أن هذا الربط بين الناس والمعادن يتم من جوانب متعددة بواسطة التصوير ليبين تمايزهما حسيا من جهة اللون: لون الذهب والفضة، ومن خلالهما تتضح ألوان وطبيعة المعادن الأخرى التي لم يذكرها الحديث.

وهذا الاختلاف بين لون وطبيعة المعادن تدفع المتلقي ليقارن بينها وبين المشبه أي أنواع الناس. فالناس كالمعادن بعضهم نادر ونفيس كالذهب والفضة، وكثير منهم كالصفيح. فإذا كان الإنسان معدنه كالذهب، فإن ذلك يعني أن الروح التي تملكت ذلك الجسد طاهرة ونقية ومتسامية كالذهب. وإذا كان معدنه كالصفيح، فإن ذلك يعني أن الروح التي تملكت ذلك الجسد قد هبطت وتدنت حتى علاها الصدأ. يقول الشريف الرضي: "إنه عليه الصلاة والسلام شبه الناس بالمعادن التي تكون في قرارات الأرض، فلا يحكم على ظواهرها حتى يستخرج دفائنها، ويستنبط كوامنها، فيكون منها اللجين [٦٣]والنضار [٦٤]ويكون منها النفط والقار[٦٥]. فكذلك الناس لا يجب أن يحكم على مجاليهم، ولا يقطع على بواديهم حتى يخبروا ويعرفوا، ويثاروا ويجثوا فيخرج البحث جواهرهم، ويمحص الامتحان مخابرهم، فيتبين حينئذ كرم النحائز[٦٦]، وطيب الغرائز، وتكشف منهم الطرائق، ولئيم الخلائق"[٦٧]

فالناس، إذن، معادن بعضهم نادر نفيس، كالذهب والفضة، وكثير منهم كالصفيح. ومعادن الناس تختلف بحسب تربيتهم وأخلاقهم، فكلما صلحت التربية زادت قيمة معدنهم. ومعادن الناس ليس لها علاقة بالجنس أو اللون، أو الحسب، أو النسب، أو الغنى، أو الفقر. إن المقياس الحقيقي للتفاضل بين الناس نابع من قيمة المعدن؛ أي من ذات الإنسان وقيمه: من مثل الإيمان، والتقوى، والعلم.

إنّ هذه الإيحاءات الجميلة التي يوحي بها الحديث، والانفعالات المختلفة والمتفاوتة التي يوشي بها، تنم عن بيان رائع وإحساس كبير بالجمال، وقدرة فائقة على تشكيل الصور الفنية المؤثرة في السامعين. فهو، ﷺ، خبير بالمشاعر والأحاسيس التي تثيرها كل لفظة وكل معنى وكل تصوير.

فهذه بعض من أحاديث نبينا الكريم المتضمنة خطابه العام- توجيهي أو غير توجيهي- فقد حرصنا خلالها على كشف كثيرٍ من الأسرار الجمالية التي تضمنها حديثه(ﷺ) ؛ ونقصد بالجمال الأدبي تلك الخصائص الأسلوبية والبلاغية التي تعطي النص ماهيته الفنية والجمالية. وقد مكنتنا هذه الدراسة من الوقوف على خصوصية الفصاحة والبيان التي ألهمها الله عزّوجل للنبي الكريم، وما كان من سلاسة ألفاظه وبديع صوره مع الغاية في إيجاز اللفظ ووضوح المعنى.

المطلب الثالث

التعريف بالخطاب التوجيهي و بيان أهميته ومدى تأثيره

❖ التعريف بالخطاب التوجيهي :

الخطاب التوجيهي : هو إرشادات ومعلومات ومعارف تصدر من المرسل، بقصد تبليغ المتلقي توجيهات وإرشادات ومعلومات ومعارف علمية وإنسانية يهدف من ورائها إلى تشكيل السلوك بطريقة تتناسب مع فلسفة مرسل الرسالة(٦٨).

أو هو : "الكلام سواء للفرد أو الجماعة والذي يحمل مضموناً تربوياً الموجه من قبل الرسول سواء للفرد أو الجماعة ذا طابع توجيهي وإرشادي ، بما يحقق المصلحة العامة للخطاب في الدنيا والآخرة ، ويسهم في بناء شخصية سوية ومتوازنة " (٦٩).

ومما تقدم يمكن تعريف الخطاب التوجيهي النبوي إجرائياً أنّه :جملة التوجيهات التربوية النبوية للمسلمين والمتضمنة في أقوال الرسول(ﷺ) في المجالات شتى كالمجال العقائدي والأخلاقي والجهادي بهدف بناء شخصية مسلمة ملّمة بكل الأمور الربانية و الدنيوية .

و على الانسان المسلم الاقتداء بالرسول(ﷺ) قولاً و فعلاً إذ قال تعالى في كتابه العزيز: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ (الحشر: ٧)،فهذا أمر صريح من الله عزّ و جل بالأخذ عن الرسول الكريم في كل شئ .

والخطاب التوجيهي يستعمل بمعانٍ شتى ،تختلف تبعاً لطبيعة الموضوع الذي ينصب عليه الخطاب، وتبعاً للأغراض التي يتوخى تحقيقها منه ، ففي التشريع والقضاء تعني بلاغة الخطاب أن "يؤسس على البرهان الاستدلالي، على النحو الذي يحدده المنطق ،وفلسفة التشريع والأيدلوجية المتبناة في صياغة التشريعات، وفي أحكام القضاء، ومعنى هذا أن الخطاب يتجاوز الشكلية اللغوية ،ويمتد إلى وسائل الإقناع ونوعية البرهان وأدوات الأسلوب البياني" (٧٠)، والخطاب التوجيهي هو اللغة المعبرة عن جملة التصورات والمفهومات والاقتراحات حول الواقع ، وصفاً وتحليلاً ونقداً واستشرافاً لمستقبله ،أو حول علاقة الوجود بين المسلمين ومجتمعهم، وهو بذلك تعبير عن أيديولوجية منتج الخطاب في لحظة معينة (٧١).

و خطاب الرسول (ﷺ) هو الرسالة التي نزلت من فوق سبع سماوات ، لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم وأنفسهم وغيرهم ، وهذا الخطاب هو الذي يحدد المصلحة من المفسدة ، والصالح من الطالح ، والمستقيم من المعوج، والمؤمن من الكافر ، والصواب من الخطأ، ويقرر السلم من الحرب وهو الميزان الذي يفصل في ميزان الخلق إلى الجنة أو النار.

❖ **أهمية الخطاب التوجيهي في الحديث النبوي الشريف :**

حتى تسود أمة الإسلام وترقى نحو العلا، وتصمد في مواجهة التحديات التي تعمل جاهدة للنيل من دينها وإسلامها وحضارتها، لابد من اعتماد الخطاب التربوي النبوي في مواجهة الآخرين أفراداً وجماعات فهو السياج الواقي، والحصن المنيع الذي يصعب اقتحامه ، لذلك بدأ الوحي في الرسالة الخاتمة بكلمة (اقرأ) التي هي مفتاح الحضارة الزاهرة التي فردت جناحيها على أنحاء المعمورة من شرقها إلى غربها بناء و نهضةً وعطاء زاخراً في شتى الميادين؛ لذا يمكن تلمس أهمية الخطاب التوجيهي النبوي فيما يلي :

١) الإقتداء بالنبي المكرم (ﷺ) إذ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١)فهذه الآية أصل كبير في التأسي بالنبي (عليه الصلاة و السلام) قدوة حسنة في كل الأمور من العبادة في أقواله، وأفعاله، وأحواله فالنبي قدوة في كل أمور العبادة والدعوة إلى الله.

٢) تكمن أهمية الخطاب التوجيهي النبوي في الوقاية من الضلالة ومن الخطأ لقوله (ﷺ): ((إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي))وقد روي هذا الحديث بطرائق مختلفة، رواه اكثر العلماء من الفريقين، و صرحوا على صحته. فقد رواه عارضة الأخوذي بشرح صحيح الترمذي[٧٢]: مسندا عن جابر بن عبد الله، قال :رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة، يخطب فسمعته يقول: يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي .ثم قال الترمذي: وفي الباب عن أبي ذر، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وحذيفة بن سيد.

٣)يعمل الخطاب التوجيهي النبوي على ضبط تصرفات الفرد على وفق معايير وأخلاق راسخة، ومثل سامية فينتج لنا نفوساً حية قوية فتية ،قلوباً جديدة خفاقة، مشاعر غيورة ملتهبة متأججة، أرواحاً طموحة متطلعة متوثبة لها أهدافا سامية لتسمو نحوها وتتطلع إليها ثم تصل إليها .

٤)يوجه سلوك الفرد ويعطيه التناسق وعدم الازدواج بين الفضيلة والرذيلة ومعرفة الأمور ومحاكمتها للتمييز بين الصواب والخطأ والمرغوب فيه والمرفوض والأخلاقي وغير الأخلاقي.

٥) وتنبثق أهمية الخطاب التوجيهي النبوي في أي عصر من المكانة العالمية للرسالة الإسلامية، وأنها ليست مقتصرة على العرب.

المطلب الرابع

الوسائل اللغوية في الخطاب التوجيهي في الحديث النبوي الشريف

يلجأ المرسل في تخاطبه مع المرسل إليه إلى اعتماد طُرائق تحقق عملية التخاطب بينهما ،كما تحقق أهداف العملية التخاطبية وتختلف أهداف التخاطب باختلاف الطرائق المتبعة أو المستعملة في الخطاب ، فقد يكون الهدف منها إقامة علاقة مع المرسل إليه فيعتمد بذلك المرسل إلى طرائق تحقق له هذا الهدف وتكون لها ميزات ومسوغات تخدم هذا الهدف ، ويتميز الخطاب في هذه الحالة بنوع من المرونة والتأدب.

وأحيانا أخرى يجد المرسل أن هذه الطريقة لا تنفع في موقف آخر لا يسمح بوجود المرونة ولا ينعدم فيه التأدب نهائياً بل يبقى جزئياً في الخطاب ، فيلجأ بذلك إلى طريقة أخرى يطلق عليها الدارسون " الاستراتيجية التوجيهية " وسبب اختيار المرسل لهذه الاستراتيجية في رأي بعض الدارسين هي إصرار المرسل على تبليغ قصده من وراء الخطاب وكذا توجيه المرسل إليه من خلال النصح والتحذير والإرشاد وهذه الأفعال لا تقتضي استعمال المرونة في الخطاب ، كما أنه يود باستعماله لهذه الإستراتيجية أن يفرض قيداً على المرسل إليه بشكل أو بآخر ، وإن كان قيداً بسيطاً وأن يمارس فضولاً خطابياً عليه أو توجيهه لمصلحته بنفعه من جهة ، وبإبعاده عن الضرر من جهة أخرى [٧٣] وهذا النوع من الخطاب التوجيهي قد يكون نوعاً من التدخل والضغط على المرسل إليه .

و يُصنف المرسَل إليه ، عند استعمال هذا الخطاب الى صنفين:

الأول: المرسَل إليه المتخيّل وهنا يكون المرسِل على معرفة مستقيمة بالمرسَل إليه ويمتاز الخطاب في هذه الحالة بالعموم والديمومة ، والمناسبة لكل وقت .

أما الثاني : فهو المرسَل إليه الحاضر عند التلفظ بالخطاب ،وهنا قد يكون الخطاب أو التوجيه مقتصراً عليه ؛ والسبب في ذلك هو ضيق السياق الذي يدور فيه الخطاب ، فلابد أن يأخذ المرسل بعين الاعتبار ميزات الفرد ، فضلاً عن المعرفة المشتركة بينهما ،وقد استبعد الدارسون هذا النوع من الخطاب كون التوجيه مجرد فعل لغوي .و نحن بدورنا نتجاوز ذلك ؛كونه –الخطاب التوجيهي- أحد أهم الوظائف التي تؤديها اللغة ،فنجد في تصنيف "رومان ياكسون" ما يسمى وظيفة التوجيه في اللغة ،و يطلق عليها (الوظيفة الإيعازية أو الندائية)[٧٤].

ويعتمد فعل التوجيه على النظام اللغوي في تحقيق الأفعال الدالة على التوجيه ،على أن هذا النظام غير كافٍ مما يستدعي وجود عناصر تعطي للفعل التوجيهي قوته الإنجازية وهي :

- سلطة المرسِل : وهي فيما يخص الرسول (ﷺ) مستمدة من كونه صاحب رسالة (النبوة).
- عائد المصلحة إما باتجاه المرسل، أو باتجاه المرسل إليه وستتضح جهة المنفعة في خطاب الرسول (ﷺ) من خلال أحاديثه عليه الصلاة و السلام .

و يُعدّ الفعل الإنجازي – التوجيهي – من خلال نتيجته إلزاما للمرسَل إليه ؛لأنه خاضع لسلطة المرسِل لأن الأفعال التوجيهية قائمة على علاقة سلطوية بين المرسِل والمرسَل إليه ،والسلطة في هذه الحالة هي مؤشر لنجاح هذه الأفعال ، والسلطة التي يملكها الرسول (ﷺ) سلطة دينية بحكم أنّه نبي مرسل صاحب رسالة سماوية تقتضي منه أن يوجه الناس ويبلغهم بمحتوى هذه الرسالة أي ما تسمح به وما تحرمه الشريعة .

ويعتد الخطاب التوجيهي بمعياره(صاحب المصلحة)من الخطاب وهذا يجعل أحكام الأفعال التوجيهية تسلك اتجاهين: إما الوجوب أو الندب. فإن كان عائد المصلحة للمرسِل فحكم الفعل هو وجوب إطاعته وتنفيذه ،أما إذا كان العكس -عائد المصلحة للمرسَل إليه- فان الحكم هو الندب[٧٥].

وتتسم طريقة الخطاب التوجيهي بالوضوح في التعبير عن قصد المرسِل ، إذ لا يحتمل الخطاب أكثر من تأويل ، ويكمن هذا في كونها تستعمل الأفعال اللغوية الصريحة .

وللسياق دورٌ مهمٌ في فهم الخطاب ، إذ إنّ له أثراً كبيراً في مقصود دلالة المتكلم فضلاً عن تحديد هوية العبارة .

و يعتبر(ميشال فوكو) أنّ الهوية عبارة ما تخضع لمجموعة من الشروط و الحدود التداولية التي تفرضها عليها مجموع العبارات الأخرى التي ترد في ضمنها تلك العبارة و الميدان الذي تستعمل فيه و الأدوار المنوطة بها.[٧٦]

و يقصد بالسياق الجو العام الذي يحيط بالكلمة و ما يكتنفها من قرائن و علامات، و بهذا المعنى يرى (دومينيك) أنّ السياق يؤدي دوراً محيطياً ، أي يزودنا بالمعطيات التي تسمح برفع الاحتمالات الغامضة عن الملفوظات ،و لكنه ليس موضوعاً ببساطة حول الخطاب ، فعلى المرسل إليه إكتشاف المعنى الغامض الذي يحمله الملفوظ [٧٧] ، فضلاً عن أن يكون واعياً و ذكياً حتى يدرك المعنى الصريح من وراء خطاب المرسِل و أن يتمكن من كشف المعاني الملتبسة التي تحف بالخطاب .

والخطاب التوجيهي لا يتحقق إلا باستعمال مجموعة من الوسائل التي تحقق الغاية المنشودة من التوجيه ،وسنعرض لها من خلال الأحاديث النبوية الشريفة ، فقد اعتمد الرسول (ﷺ)

)على هذه الوسائل ؛لأنها كانت من الطرق في توجيه المسلمين لتعليمات الدين الإسلامي ، وهي كالآتي :-

١. الأمر :

صيغة الأمر من أكثر الصيغ دورانا في الكلام ،و تعدّ من أهم المباحث في التكليف الشرعي ،فقد أهتم بها الأصوليون ليتبينوا الحكم الشرعي من هذه الصيغة، فضلاً عن صيغة النهي إذ بلغ الحد من الاهتمام بهما حتى قيل فيهما: " فأحقّ ما يبدأ به البيان ،الأمر و النهي؛ لأنّ معظم الابتلاء بهما و بمعرفتهما تتم معرفة الأحكام و يتميّز الحلال من الحرام"[٧٨].

و قد عرُّف الأمر بتعريفات متعددة و بتعبيرات مختلفة بين النحويين و البلاغيين والأصوليين، فعند الأصوليين كلها تدور حول نقطة جوهرية واحدة و هي أن الأمر "طلب الفعل على جهة الاستعلاء"[٧٩]، ف(طلب الفعل) قيد يحترز به عن النهي و غيره من أقسام الكلام، و (على جهة الاستعلاء)،احترز عن الطلب على سبيل الالتماس و الدعاء، و المقصود من جهة الاستعلاء قيد يشترط في الطلب لكي يكون أمراً أن يصدر من العالي إلى من هو أدنى منه مستوى، أي أن يصدر من سلطة تتمتع بقوة الإلزام كالله (عزّ و جل) و رسوله الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم)[٨٠]

ومن تعريفاته عند البلاغيين ،عرفه السكاكي (ت٦٢٦ه) بأنه:" الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها (وهي اللام الجازمة ، وصيغ مخصوصة وعدة أسماء) اعني استعمال لينزل ، وانزل ، ونزال و صه على سبيل الاستعلاء ، وأما أن هذه الصور والتي من قبيلها ، هل هي موضوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء أم لا ؟ فالأظهر أنها موضوعة لذلك ، وهي حقيقة فيه ، لتبادر الفهم عند استماع نحو التهديد ، على اعتبار القرائن وإطباق أئمة اللغة على إضافتهم نحو قم ، وليقم إلى الأمر بقولهم ،صيغة الأمر ، ومثال الأمر ، ولام الأمر ، دون أن يقولوا صيغة الإباحة ولام الإباحة "[٨١] فنلحظ أنّ السكاكي قد انطلق في تعريفه للأمر من ما هو شائع بين أئمة اللغة من صيغ الأمر ، وكذا من أتفقوا على اعتباره أمرا .

وفي الدرس البلاغي قد يكون الأمرحقيقياً، وقد يخرج عن طور الحقيقة إلى طور المجاز ، فكثيراً ما يقتضي المقام استعمال صيغة الأمر في غير معناها الحقيقي لعلاقة بين ذلك الغير وبين معنى الأمر ،وحتى يكون الأمر حقيقياً فثمة عناصر تكون دلالته وهي : العلو والاستعلاء والإمكان والزمان والمصلحة والتفويض والإرادة [٨٢] وغياب احد هذه العناصر يخرج الأمر من الحقيقة إلى المجاز وهذه كانت نقطة اختلاف عند البلاغيين و الأصوليين فقد اختلفوا اختلافا واسعا حول الدلالة الحقيقية لصيغة الأمر.

و تجدر الإشارة إلى أن بعض الأصوليين قد ذكر لمادة الأمر معانٍ عدّة وصلت إلى خمسة عشر معنىً ،منها: الطلب ،الحادثة، الشأن ،الغرض ،الفعل،...الخ[٨٣].وعلى الرغم من أن العلماء

اختلفوا في مفهوم الأمر و صيغته، إلا أنهم اتفقوا في كون صيغه تكفي لأداء دلالة الأمر ،فضلاً عن حاجتها إلى قرائن أخرى .

أما عند المحدثين فيعدّ الأمر من الأفعال التوجيهية بحسب نظرية الفعل الكلامي ، التي أنشاها (اوستين)،فقد ذهب اوستين إلى أن " من أرجح معانيه كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب "[٨٤].ولا يتحقق هذا المعنى بمجرد التلفظ بالخطاب إذ لا بد أن يقترن الفعل بسلطة المرسل ، فان انعدمت سلطة المرسل خرج فعل الأمر عن قصد التوجيه إلى مقاصد أخرى يحددها السياق ،ولا يقصد بالسلطة المفهوم الضيق بل يتسع ليشمل ما يملكه المرسل من علم ومعرفة ، ما يزيد من رتبة المرسل، لهذا اعتبر العلماء أن الوجوب لا يتحقق في الأمر إلا بوجود شرطي الصيغة والسلطة ،وقد فسر السكاكي ذلك في قوله :" لا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء ، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه ، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة وإلا لم يتبعه ، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور أفادت الوجوب وإلا لم تفد غير الطلب "[٨٥].

ومن ثم فان الوجوب في الأمر ليس مسألة لغوية، بل لغوية تداولية فرتبة المرسل هي المحدد لدلالة صيغ الأمر على الوجوب .

ويمتاز الخطاب التوجيهي بالتكرار بمجرد التلفظ به على أن تبقى عناصر السياق نفسها كما في لحظة التلفظ بالخطاب للمرة الأولى .فضلاً عن أن لتوجه المصلحة دورا في تحديد دلالة الخطاب التوجيهي وإعطائه حكما فقد يخرج التوجيه إلى معانٍ أخرى وهي الندب والتأديب والإرشاد ويذهب الباحث علي حسب الله ، إلى أن هذه الوجوه لها " معانٍ متقاربة ويمتاز بأن الندب توجيه إلى ما يرجى به ثواب الآخرة ، والتأديب توجيه إلى ما يهذب الأخلاق ويصلح ، العادات والإرشاد توجيه إلى ما فيه مصلحة دنيوية "[٨٦].هذه الوجوه التي يستعملها المرسل للتوجيه ،هي المعاني التي يُستعمل بها الأمر في اللغة العربية وبالأخص عند الأصوليين ووجه المنفعة في هذه الوجوه يعود على المرسل إليه ما يجعله ملزما على تنفيذها والقيام بها، وأي خروج عنها يكون فيه ضرر عليه ، لهذا فالندب والإرشاد عند الغزالي لا فرق بينهما إلامن خلال وجه المنفعة ف " الندب والإرشاد ، ثواب الآخرة ، والإرشاد للتنبيه على المصلحة الدنيوية "[٨٧]، ووجه المصلحة يعد قرينة من قرائن استحقاق الأمر لحكم معين، يعني حكم الوجوب أو الندب أو الإرشاد [٨٨]ويخلص الغزالي إلى أن الأمر "هو للوجوب ، فلا يحمل على ماعداه إلا بقرينة "[٨٩].

ويتحقق الأمر بأساليب كثيرة ، ويبقى شرط السلطة ومرتبة المرسل شرطاً أساسياً في تحقق التوجيه بالأمر .وسنبين هذه الأدوات المستعملة في الحديث النبوي الشريف من خلال تحليل بعض النماذج .

ومن الأحاديث التي استعمل فيها النبي الأمر بصيغة (افعل) عن انس بن مالك قال : قال رسول الله: " إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا صلى قائماً فصلوا قياماً ،فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا ، وإذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا ربنا ولك الحمد ، وإذا صلى قائما فصلوا قياما،

وإذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون "[٩٠] فقد استعمل الرسول (ﷺ)الأمر بصيغته المعروفة وبصورة متكررة ؛لان خطابه يتضمن تعليمات مهمة وهي كيفية أداء الصلاة مع الإمام ونتيجة التقيد والإتيان بهذه الأوامر هي تتمة وصحة صلاة المصلين .

و من أحاديثه(عليه الصلاة والسلام) في توجيه المسلمين و بأمرهم بفعل الأمر الصريح قوله(ﷺ): " أحبب لغيرك ما تُحِبُّ لنفسك، واكره لغيرك ما تكره لنفسك"[٩١] ،فنجد التوجيه بفعل الأمر الصريح (افعل –أحببْ) فهو يوجه الوجهة الصالحة للتعليم و تنمية الادراك التي تتفق مع صالح الفرد و المجتمع، ففي هذا الحديث تكوين للنزعة الكريمة في النفس التي بُني الإسلام عليها، فهذه تربية الاسلام الخلّاقة الهادفة إلى خدمة المجتمع و تطوير وسائل رُقيّه على أساس المحبة و النصح .

ومن استعماله (عليه الصلاة والسلام) لصيغة فعل الأمر (افعل) ماورد في قوله (ﷺ) :"ليلة أسري بي إلى السماء كلمني ربي جلّ جلاله فقال: يا محمد ،فقلت : لبيك ربي ،فقال : عليّ حجتي بعدك على خلقي ، و إمام أهل طاعتي ، من أطاعه أطاعني ، ومن عصاه عصاني ،فانصبه لأمتك يهتدون به بعدك"[٩٢]، فنلحظ صيغة الأمر (انصبه) واضحة و صريحة ،و هذا مما ورد من أنباء الغيب و علو الدرجة و المنزلة للإمام علي (عليه السلام) عند الله عزّ وجل و قد ورد على لسان النبي (ﷺ) و هو بدوره(ﷺ) وجّه جميع المسلمين الى ذلك ،إذ أنّ الإمامة هي الحقيقة المحمدية الباقية و التي تتضمن دور يتلو دور النبوة ،فضلاً عن ضرورة وجود(قيّم القرآن) يخلف النبي الناطق[٩٣]

ومن أحاديثه (عليه الصلاة والسلام) التوجيهية بصيغة الأمر ،قوله (ﷺ): " أيُّما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ "[٩٤]،ففي هذا الحديث ورد الأمر باللام المقترنة بالفعل المضارع وهي دالة على الطلب ،فالرسول (عليه الصلاة والسلام) أمر في هذا الحديث بأداء الصلاة في وقتها و هذا خطاب لتوجيه المسلمين واضح و صريح .

و في السياق نفسه قوله(ﷺ) : " إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها "[٩٥] ،وقوله(عليه الصلاة والسلام) أيضا : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فانه له وجاء "[٩٦] .

وجاء عن النبي(ﷺ)- أيضا -" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت "[٩٧].

ففي هذه الأحاديث استعمل الرسول(ﷺ) الأمر بالمضارع المقترن باللام لتوجيه الناس وإرشادهم إلى مصالح دنيوية ،تحث المسلمين و تدفعهم الى كل عمل فيه مصلحة و منفعة لهم بطريقة التوجيه بصيغة الأمر كونه (عليه الصلاة والسلام)صاحب المصلحة العليا .

ومن اللافت للنظر أنّ هناك من الأدوات اللغوية التي تستعمل للأمر بغير الصيغة الأصلية للأمر؛ إذ أنّه قد يتعدد الزمن كالماضي والمضارع ، ولكن يبقى قصد المرسِل هو الأمر ،وقد أكد الرسول (ﷺ) هذه الصيغة في قوله :" تعلّموا العلم ،فإنّ تعلُّمه لله حسنة ،و دراسته تسبيح ،و البحث عنه جهاد ،و طلبه عبادة ،و تعليمه صدقةٌ ،و بذله لأهله قُربَةٌ"[٩٨] ،فقد ورد فعل الأمر دالاً على الطلب ،إذ نلمس فيه التوجيه و الحث للمسلمين و دفعهم إلى التقدم و التسلح بالعلم ،و أن لا يدعوا شبح الجهل في مجتمعهم ؛ لأنه مصدر التأخر و الانحطاط [٩٩].

ومن أدوات التوجيه بالأمر في اللغة العربية ، الأمر بشبه الجملة أي استعمال بعض حروف الجر في سياق الأمر ، وهذا ما سماه بعضهم ب(الإغراء)، ومن هؤلاء ابن عصفور (ت٦٦٩ه) ، فضلاً عن استعمال حرفي الجر " إلى " و " على " لأداء هذا المعنى متصلين بضمير مخاطب في الأغلب[١٠٠]. ومن أمثلة الأمر فيما يخص شبه الجملة في الحديث النبوي قوله (عليه الصلاة والسلام): "ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم " قال : " أصابتني جنابة ولا ماء ، قال : " عليك بالصعيد فانه يكفيك "[١٠١].وقد عد ابن هشام(٧٦١ه) " عليك " من أساليب الإغراء ، وفسره بمعنى يقترب من معنى :إلزم ، أحفظ ، خذ[١٠٢]، وإذا ما عدنا إلى الحديث " عليك بالصعيد " بمعنى ألزم الصعيد .

و تجدر الإشارة إلى أنّ استعمال مثل هذه الأساليب في الأمر ، تتكأ على المعرفة اللغوية في ذهن طرفي الخطاب من معرفة تركيب الجمل التامة ، ومن ثم استلزام الحذف في بنية الخطاب ، وبتوظيف المعرفة المشتركة بينهما[١٠٣] فالرسول (عليه الصلاة والسلام)يدرك أنه يلقي خطابه للمرسَل إليه الذي يمتلك معرفة باللغة العربية و أساليبها .

٢. النهي :

النهي لغةً: خلاف الأمر و هو بمعنى الزجر عن الشئ[١٠٤] ، و يأتي بمعنى المنع ،يقال: نهى عن كذا أي منعه ،و منه سميّ العقل (النهية) ؛ لأنه ينهى صاحبه عن القبائح ،و يقال لذوي العقول ذوي النهي[١٠٥] و منه قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (طه: ١٢٨).

و في اصطلاح الأصوليين: هو اللفظ الدال على طلب الامتناع عن الفعل على جهة الاستعلاء[١٠٦].

و قد عرّفه السيد عبد الأعلى السبزواري (ت١٤١٩ه) بأنّه " طلب ترك الفعل، أو طلب كف المكلّف نفسه عن الشئ ،أو ردع المكلّف و زجره و ايقافه"[١٠٧]

وهو أحد آليات الخطاب التوجيهي ويصدر ممن هو أعلى مرتبة إلى من هو دونه ،ويقارب النهي الأمر في كثير من الأمور .

وقد سبقت الإشارة أن للأمر صيغة أصلية فإن للنهي صيغة أصلية إذ " للنهي حرف واحد وهو (لا) الناهية في قولك : (لا تفعل) ، وأن أصل استعمال :(لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإن صادف ذلك أفاد الوجوب ، وإلا أفاد طلب الترك فحسب (...) والأمر والنهي حقهما الفور "[١٠٨]

ومن الأمثلة على النهي باستعمال " لا الناهية " وهي كثيرة في الحديث النبوي الشريف ، سنكتفي ببعض منها .قوله(عليه الصلاة والسلام): " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض "[١٠٩]،ففي الحديث نهى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)المسلمين أن يعودوا عن إسلامهم ونهى عن قتل المسلمين لبعضهم بعضاً ، وتم ذلك بتوجيههم عن طريق استعماله لأداة النهي " لا " لأنه كان حريصا على تماسك المسلمين.

ومن أساليب النهي استعمال " لا " الناهية مع نون التوكيد في الفعل المضارع ومن أمثلة ذلك قوله(صلى الله عليه و آله وسلم):"لا يبيع حاضر لبادٍ ، ولا تناجشوا ولا يزيدنّ على بيع أخيه ، ولا يخطبنّ على خطبته ، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتستكفئ إناءها "[١١٠] ،فقد استعمل (عليه الصلاة والسلام)في هذا الحديث النهي ب (لا) مع نون التوكيد ؛لأنّ في ذلك تأكيدا لهم، فضلاً عن أنّه مؤشر تداولي على أن النهي هنا كان فيه تأكيد وذلك لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على دراية ومعرفة بطبيعة المرسَل إليه الذي يوجه إليه خطابه .

وقال (عليه الصلاة والسلام) في حديث آخر : " لا يقضينّ حكم بين اثنين وهو غضبان"[١١١] ،وقال أيضا : " لا يتمنينّ أحدكم الموت من ضر أصابه ، فإن كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي "[١١٢] ، ففي هذين الحديثين يؤكد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)على المسلمين بعدم الغضب عند الحكم بين الناس لما قد يخلفه من ضرر بينهم ،وأيضا الكف عن الإلحاح في طلب الموت من الله عز وجل بسبب الجزع .؛فقد استعمل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) النهي ب " لا " مع نون التوكيد وذلك لأهمية الأمر المنهي عنه.

وهناك أساليب للنهي عن طريق ألفاظ معجمية تستعمل للنهي وتسمى (ألفاظ النهي) وتدل عليه عند إطلاقها، وتسمى صيغ النهي وهي مادة حرم ، وحظر ، ومنع، نهى...الخ[١١٣] "ومنه ما جاء في حديثه عليه الصلاة والسلام : " فان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا في شهركم هذا "[١١٤] ،ففي هذا الحديث نهى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس عن القتل وأكل الأموال بالباطل وهتك الأعراض باستعمال المصدر (حرام) . وقال في حديث أخر :" يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا

وتطوعا .... كل مسكر حرام "[١١٥] ،وفي حديث آخر : " إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة ولحم الخنزير والأصنام ....."[١١٦]

٣. التحذير :

أسلوب التحذير هو آلية أخرى من آليات التوجيه التي يستعملها المرسِل ، ويختص هذا الأسلوب بالمخاطب أو المرسَل إليه إذ " حق التحذير أن يكون للمخاطب "[١١٧] ،وعرفه ابن عقيل(ت٦٧٢ه) بأنّه " تنبيه المخاطب على أمر يجب الاحتراز منه "[١١٨] ويشتمل أسلوب التحذير على ثلاثة أمور مجتمعة :

أولها : المحذِر : وهو المتكلم الذي يوجه التنبيه لغيره ،

ثانيها : المحذَر : وهو الذي يتجه إليه التنبيه ،

ثالثها : المحذَر منه : وهو الأمر المكروه الذي يصدر بسببه التنبيه .

ومن أساليب التحذير التي استعملها النبي الكريم لتوجيه المسلمين قوله (ﷺ) "إياكم والظنّ ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث "[١١٩]،إذ حذر الرسول الناس من سوء الظن .وجاءت بنية التحذير في هذا الحديث كما يأتي :

- المحذِر : الرسول (ﷺ)
- المحذَر : المسلمون
- المحذَر منه : الظن .

وقال في حديث آخر: " إياكم والجلوس على الطرقات ... فإذا أتيتم إلى المجالس، فأعطوا الطريق حقها ... غض البصر ، وكف الأذى ورد السلام ، وأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر "[١٢٠] ،ففي هذا الحديث تحذير إذ حذر الرسول (ﷺ)الناس من عدم إعطاء الطريق حقها وفي هذا التحذير نصح وإرشاد لما فيه منفعة لهم .

٤- التحضيض والعرض :

قد يوجّه المرسِل للمرسَل إليه فعل شيء في المستقبل ويسمى هذا التوجيه بالتحضيض وهو " طلب الفعل بحث "[١٢١] ،ومن أدواته (هلا وهي الأداة الأساسية ، وإلا ، ألا ، لوما ، لولا)ومعناها كلها التحضيض والحث وإذا وليت المستقبل كنّ تحضيضاً ، وإذا وليهنّ الماضي كنّ لوماً وتوبيخاً فيما تركه المخاطب ، أو يقدر فيه الترك [١٢٢] ،وينشأ عن هذا ما يسميه السكاكي ب (التنديم) [١٢٣] لتأخر عنصر الزمان ،فالمطلوب ينبغي ألا يكون حاصلا وقت الطلب ، فإذا دخلت (هلا)على (كان) - فعل قد وقع - كان معناها اللوم والتنديم وقد وردت (هلا)في الحديث النبوي الشريف في خمسة مواضع لم تستعمل في أي منهنّ للدلالة على التحضيض وإنما استعملت للدلالة على التنديم أو التمني .

ومثال التنديم حديثه (عليه الصلاة والسلام) " فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك "[١٢٤] ،وفي الحديث تنديم من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لرجل كان قد تزوج ثيبا .

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: " هلا استمعتم بإهابها "[١٢٥]،ففي الحديث تنديم من الرسول (عليه الصلاة والسلام) لأصحاب شاة ماتت فاتقوها .

و قد ترد (هلا) للدلالة على التمني؛ و قد وردت في قوله (عليه الصلاة والسلام) "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين "[١٢٦] فان(هلا) جاءت هنا للتمني .

ويلحق العرض بالتحضيض ،و العرض " طلب الفعل بلين وتأدب"[١٢٧]ومن أدواته " ألا " وكذا " لو ".

وجاءت " ألا " للعرض في كثير من الأحاديث النبوية وهذه بعض أمثلتها قال (عليه الصلاة والسلام):" يا ابن الأكوع ألا تبايع ؟"[١٢٨] ،ففي الحديث طلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) البيعة من المخاطَب باستعمال أداة العرض " ألا " .وقال عليه الصلاة والسلام " ألا تريحني من ذي الخلصة ؟ "[١٢٩] ،ففي هذا الحديث عرض من الرسول للمخاطَب باستعمال الأداة " إلا " ،بأسلوب أدبي و رفيع .

ومن الأدوات التي تؤدي معنى العرض في بعض الأحيان (لو)في نحو الأحاديث الآتية: قال (عليه الصلاة والسلام) : " لو انتظرت حتى تمسي "[١٣٠] ،وكذلك قوله (عليه الصلاة والسلام) : " لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى "[١٣١] فقد أدت (لو) في هذه الأحاديث معنى (العرض) في سياقات تحمل معنى الطلب وليس التمني إذ أن الطلب هو توجيه للمطلوب منه للقيام بفعل ما .

٥- النداء :

يعد النداء من أبرز الوسائل في الخطاب التوجيهي ؛ لأنه يحمل المرسَل إليه على اتخاذ ردة فعل اتجاه المرسِل . وأداته الأساسية (الياء)[١٣٢].

ومن أحاديثه (عليه الصلاة والسلام) و التي يكون فيها التوجيه بأداة النداء (الياء) ، قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسال الأمارة ، فانك أن واتيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت

غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير "[١٣٣] .إذ استعمل الرسول (ﷺ) النداء في هذا الحديث لتوجيه ونصح المخاطب وإرشاده إلى مجموعة من الأفعال لو أتاها لضمن مصلحته .

ومن أحاديثه (عليه الصلاة والسلام) و التي جعل النداء فيها وسيلة للتوجيه و الإرشاد للمسلمين كافة ، قوله (ﷺ) في حجة الوداع :" أيها الناس إنّي مسؤول و أنتم مسؤولون فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنّك بلّغت و نصحت و أديت ، قال : إني لكم فرط و أنتم واردون عليّ الحوض و إني مخلف فيكم الثقلين إن تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله و عترتي أهل بيتي ، و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، ثم قال : ألستم تعلمون أني أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى ، فقال : آخذاً بيد علي : من كنت مولاه فعلي مولاه ، ثم قال : اللهم وال من والاه ،و عادِ من عاداه "[١٣٤]

فالحديث واضح و صريح بتنبيه الناس جميعاً عن طريق حرف النداء و هاء التنبيه ، فالتوجيه للمسلمين بمولاة الإمام علي (عليه السلام) ليكون وصيّ الرسول (ﷺ) ،ليتولى زمام الأمور بعده ؛ لأنه (عليه الصلاة والسلام) على يقين بما سيحدث من انشقاق في غيابه، و الأمر لم يكن من اجتهاد الرسول (ﷺ)من اجتهاده ،بل هو أمر من الله عزّ و جل.

٦ - التوجيه بذكر العواقب :

يوجه المرسِل المرسَل إليه إلى فعلٍ ما ، استعمال آليات أغرب ، كأن يخبره بنتائج الفعل وفوائده[١٣٥]، و قد صنف الشاطبي بعض الخطابات على أنها أوامر غير صريحة ، وحددها في ثلاثة اضرب[١٣٦] :

الأول: ما جاء مجيء الأخبار عن تقرير الحكم .

والثاني : ما جاء مجيء مدحه أو مدح فاعله في الأوامر أو ذمه أو ذم فاعله في النواهي وترتيب الثواب على الفعل في الأوامر ، وترتيب العقاب في النواهي وما شابه ذلك ، فإن هذه الأشياء دالة على طلب لفعل في المحمود ، وطلب الترك في المذموم من غير إشكال .

والثالث : ما يتوقف عليه المطلوب كالمفروض في مسألة ما ، لا يتم الواجب إلا به .

والتوجيه بذكر العواقب يعدُّ من الآليات المباشرة التي تضمن للمرسَل إليه من تحقيق الخطاب التوجيهي بشكل صريح ومباشر، ويتحقق التوجيه بهذه الآلية في صور كثيرة ومختلفة كأن يوصف الفعل بالخير ، فمن ذلك قوله (عليه الصلاة والسلام): " والذي نفسي بيده

لأن يأخذ أحدكم حبله ،فيحتطب على ظهره ، خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه "[١٣٧] ،فهنا فعل انجازي و هو (الحث) من الرسول الكريم للناس جميعاً ، وهو حثهم على العمل ولو كان هذا العمل عملا بسيطا .

ومن أقواله (عليه الصلاة والسلام) التي فيها توجيه واضح بذكر العواقب للمسلمين كافة قوله(صلى الله عليه وآله وسلم) :"إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما"[١٣٨] .ففيه توجيه للمسلمين و حثهم على التمسك بالقرآن الكريم كونه الكتاب التشريعي السماوي ،فضلاً عن التمسك بآل بيت الرسول و العترة الطاهرة؛ لأنهم حبل الله الممدود بين الأرض و السماء و التمسك به (عليهم السلام) يبعدنا عن التيه و الضلال في الحياة الدنيا و الآخرة.

ومن أنواع التوجيه –أيضاً- أن يذكر نتائج الفعل من خلال أسلوب الشرط بفعليه فعل الشرط وجوابه مثل قوله (عليه الصلاة والسلام) : " من قتل معاهداً لم يُرِحْ رائحة الجنة ، وان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما"[١٣٩].فالمرسَل إليه يدرك أن هذا الخطاب يؤدي عند تأويله إلى أنه خطاب نهي ،إذ نهى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عن قتل المعاهد .

ومن أقواله عليه الصلاة و السلام و المتضمنة توجيه بذكر العواقب أيضا قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): " من اخذ شبرا من ارض ظلما طوقه إلى سبعين ارضين "[١٤٠]، ففي هذا الحديث يفهم المرسَل إليه أنّه خطاب يتضمن النهي عن اخذ الأملاك ظلما.

كما يتحقق هذا النوع من الخطاب التوجيهي : بربط إنجاز الفعل ب (وعد) أو(يعد) مثل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس غفر له ما تقدم من ذنبه "[١٤١]،ففي هذا الحديث ارتبط انجاز الأفعال (الوضوء)و(الذهاب إلى المسجد)و(صلاة ركعتين) بوعد هو :نيل مغفرة الله لذنوبه ما تقدّم منها و ما تأخر .

وقدم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الوعد نفسه في حديث آخر ولكن اختلف الفعل الذي ارتبط به في قوله عليه الصلاة والسلام :" من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وماتأخر"[١٤٢]، ففعل الوعد في هذا الحديث (قيام ليلة القدر) .و الأحاديث في هذا السياق كثيرة جداً نكتفي بما ذكرناه آنفاً .

٧- التوجيه المركب :

التوجيه المركب آلية من آليات الخطاب التوجيهي وهو أن يستعمل المرسِل في توجيه المرسَل إليه أكثر من آلية في خطاب واحد ، وقد يجمع بين الآليتين أو أسلوبين متضادين حيث يدعم احدهما الآخر في تحقيق التوجيه .

ومن أمثلة ذلك استعمال الرسول ﷺ لأسلوبي الأمر والنهي في توجيه الناس كما في قوله ﷺ: " يسِّروا ولا تعسِّروا وبشِّروا ولا تنفروا "[١٤٣]، إذ أن الرسول ﷺ قد استعمل فعل الأمر (يسروا)ثم فسر بعد ذلك (لا تعسروا) وجاء هذا النهي تأكيد على الأمر الأول – يسروا – كما اعتمد على تأكيد الأمر الثاني – بشروا – بالنهي– لا تنفروا – أي اجعلوا البشارة طريقكم ولا تنفروا الناس عن الأعمال الصالحة .

وهذا حديث آخر للرسول ﷺ : " آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع " شهادة أن لا اله إلا الله وإني رسول الله ، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا إليّ خُمس ما غنِمتم وأنهى عن الدّبّاء، والحنتم والمقيّر والنّقير "[١٤٤] ،إذ وجه عليه الصلاة والسلام الناس باستعماله الأمر الصريح(آمركم)، فقد وجههم إلى أركان الإيمان ،ووجههم إلى ما يفسد عنهم إيمانهم بالنهي " أنهاكم " فجاءت بذلك آلية النهي مدعمة لآلية الأمر .

كما تم الجمع بين الأمر والتحذير كما في الحديث " إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم إن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب"[١٤٥] . إذ وجّه الرسول عليه الصلاة والسلام المرسَل إليه إلى كيفية دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وأركانه باستعمال آلية (الأمر والتحذير) وتختلف ردة فعل المرسَل إليه حول استعمال الخطاب التوجيهي، إذ يبادر إلى الإذعان وإتباع مقتضاها إذا كان أمر يصب في صالحه من دون مؤاخذة للمرسِل كما انه يستجيب إذا كان المرسل أعلى منه مرتبة[١٤٦] .

يتضح لنا مما تقدم أنّ الرسول ﷺ قد استعمل الخطاب التوجيهي لغرض توجيه المرسَل إليه بما فيه مصلحة له. واعتمد في ذلك على مجموعة من الوسائل والآليات التي مكنته من تحقيق هذا النوع من الخطاب ،وجاءت هذه الآليات واضحة في جل خطاباته مع المرسَل إليه واعتمد بشكل لافت على الأمر والنهي بحكم أنها أكثر استعمالا في الكلام ،فضلاً عن استعماله هذه الآليات بشكل واضح بعيد عن اللبس وكذا لم يترك مجالا للمرسَل إليه للتأويل والاجتهاد في فهم الخطاب؛ لان جلّ الآليات هي آليات توجيه مباشرة.

الخاتمة :

نخلص مما تقدم ،وبعد ما تّم تحليله من نماذج تحدد الخطاب التوجيهي و الوسائل التي اعتمدها الرسول عليه الصلاة والسلام ،ارتأينا أن نختم هذا البحث بخاتمة تضمنت جملة ما توصل إليه البحث، و التي نوجزها في ما يأتي :

- ❖ أن التعدد في مفاهيم الخطاب و المنطلق من تعدد التصورات والنظريات جعلها تحقق التكامل في تحديد مفهوم الخطاب من جوانبه المختلفة (اللسانية ، والتواصلية) ،فالخطاب وحدة تواصلية إبلاغية ، ينتجه مخاطِب معين، ويوجهه إلى مخاطَب معين، ويكون في ضمن سياق معين.
- ❖ جمالية الألفاظ و المعاني في الخطاب التوجيهي واضحة و صريحة ، إذ كان الرسول ﷺ يستعمل كل ما فيه من جمالية لإبلاغ المخاطب بما فيه مصلحة الفرد و المجتمع ، فكانت ألفاظه بغاية البلاغة و الجزالة لا ينفر منها السامع .
- ❖ يؤدي السياق دورا مهما في تحديد نوع الخطاب ، وكذلك في فهم الخطاب ،إذ اختلف السياق في الأحاديث النبوية مما جعل أساليب تخاطبه مع الناس تختلف من سياق لآخر.
- ❖ اهتم العلماء العرب القدماء بالأفعال التوجيهية واتضح ذلك من خلال الدراسات النحوية والبلاغية والأصولية .
- ❖ إعتمد الرسول عليه الصلاة والسلام على الخطاب التوجيهي ؛ لأنه الأنسب لتوجيه الناس إلى ما جاء به الإسلام .
- ❖ إن وجه المنفعة في الأحاديث النبوية هو باتجاه المرسَل إليه ؛لأن الرسول عليه الصلاة والسلام وجه الناس إلى ما فيه خير ومنفعة لهم .
- ❖ تعدد آليات التوجيه في الأحاديث النبوية الشريفة فقد تنوعت بين أمر ونهي وتحذير، وعرض ، ونداء.
- ❖ أكثر آليات التوجيه في الحديث النبوي هي الأمر والنهي لكونهما الأكثر استعمالا في اللغة العربية والأكثر وضوحا.
- ❖ تعدد معاني الأمر في الحديث النبوي الشريف .وذلك لتعدد السياقات .
- ❖ استعمل الرسول عليه الصلاة والسلام الأمر بصيغة فعل الأمر" افعل" في أكثر الأحاديث.
- ❖ احتواء كثير من الأحاديث على أكثر من آلية من آليات التوجيه.
- ❖ أكثر صيغ التوجيه بالنهي هي النهي باستعمال (لا الناهية) .
- ❖ أستعمل الرسول الكريم – كما بيّنا – أكثر من أسلوب لغوي في خطابه التوجيهي ؛ و ذلك إن دلّ على شيء فإنّما يدل على إحاطته عليه الصلاة و السلام باللغة العربية و معانيها و أساليبها .

الهوامش و المصادر:

- **القرآن الكريم .**

١) **تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص ،د.عبد القادر شرشار، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق : ٨ .**
٢) **حول حدود استحضار المقدس في الأمور الدنيوية –ملاحظات منهجية ، إبراهيم إبرش ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، العدد ٨٠ ،١٩٩٤م :٥ .**
٣) **استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية ، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط١ ، ٢٠٠٤م : ٣٤.**
٤) **ينظر : لسان العرب ،ابن منظور الإشبيلي (ت٧١١ه) ،دار صادر، بيروت ،ط١ ،١٩٥٥م: مادة (خطب) .**
٥) **ينظر: المصدر نفسه و المادة نفسها .**
٦) **الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ،أبو القاسم الزمخشري(ت٥٣٨ه) ،دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ط، د.ت: ٤/ ٨٠.**
٧) **ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مطبعة بريل ،ليدن ،١٩٤٣م .**
٨) **الخطاب الشرعي و طرق استثماره ، إدريس حمادي ، المركز الثقافي ، بيروت ، ط١ ،١٩٩٤م :١٧ .**
٩) **المصدر نفسه : ٢١ .**
١٠) **الكافية في الجدل ، الجويني ، تحقيق : فوقية حسن محمد ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ،١٩٧٩م : ٣٢.**
١١) **المصدر نفسه : ٣٣.**
١٢) **المصدر نفسه : ٣٢ .**
١٣) **ينظر : الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ، ابن فارس (ت٣٩٥ ه)، مطبعة المؤيد ، القاهرة ،١٣٢٨ ه: ٣٠٢ .**
١٤) **ينظر :. Dictionnaire de Lingustique ,Jean Dubois of outres ,libaire larousse- Paris:156**
١٥) **ينظر : Problemes de linguistique generale,Emile Benveniste, Editiongallimard,1966:241-242.**
١٦) **استراتيجيات الخطاب : ٣٨ .**
١٧) **ينظر : في تعليمية الخطاب العلمي ، د.بشير إبرير، مجلة التواصل ، جامعة باجي مختار ،عنابة، العددالثامن ، ٢٠٠١م : ٧٦ .**
١٨) **الخطاب ، سارة ميلز : ٥ .**
١٩) **المصدر نفسه : ٦ .**
٢٠) **الحديث النبوي مصطلحه ،بلاغته ، محمد الصباغ : ٥١ .**
٢١) **سهم خطلٌ : يجعل فيذهب يميناً و شمالاً ، ينظر : لسان العرب : ١١/ ٢٠٩ .**
٢٢) **إعجاز القرآن و البلاغة النبوية : ٣٢٤ .**
٢٣) **البيان و التبيين ، الجاحظ (ت ٢٥٥ ه) ،تحقيق: فوزي عطوي ، بيروت ، دار صعب ، ٢٢١/٢ .**
٢٤) **سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، بيروت، دار الكتب العلمية ،ط١ ،١٩٨٢م :٦٤ .**
٢٥) **دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني (٤٦٧ه) ، تحقيق : محمود رشيد ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط٢، ١٩٨٩م: ٥٥ ،**
٢٦) **المصدر نفسه :٤٠٢- ٤٠٣ .**
٢٧) **في جمالية الكلمة دراسة جمالية بلاغية نقدية ،د.حسين جمعة ،منشورات اتحاد كتاب العرب ، ٢٠٠٢م : ٥٥ .**
٢٨) **غريب الحديث ،د.محمد خطابي ،دار الكتاب العربي، لبنان ،ط١ ، ١٩٦٤م :٧/١ .**
٢٩) **المصدر نفسه : ٢٩/١ .**
٣٠) **المصدر نفسه و الجزء و الصفحة نفسها .**

٣١) صحيح مسلم : رقم الحديث : ٢٢٨٢ .
٣٢) أسماء المطر كثيرة ، ينظر الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥ ه) ،
٣٣) فتح الباري ،ابن حجر العسقلاني ،تحقيق: عبد العزيز عبد الله و آخرون ، دار الفكر : ١٧٦/١ .
٣٤) رواه الترمذي في السنن في أبواب صفات القيامة ، رقم الحديث :٢٥٨٣ .
٣٥) يقال : ضوع فلان إلى فلان : إذا ذلّ و استكان و خضع .
٣٦) المفاقر : وجود الفقر ، يقال :سد الله مفاقره أي : أغناه .
٣٧) أثل : أي كثر ماله و أوفره ليستثمره .
٣٨) لا ينقع : لا يرتوي ، يقال : نقع الماء غلة العطشان ، أي : رواه .
٣٩) المجازات النبوية ، الشريف الرضي ، تحقيق : مروان العطية و آخرون ، ١٩٨٧م : ١١١- ١١٢ .
٤٠) صحيح مسلم : رقم الحديث : ١٧٧٥ .
٤١) المصاع : المضاربة بالسيف .
٤٢) الكرب : تضييق القيد على المقيد .
٤٣) المجازات النبوية : ٣٩ – ٤٠ .
٤٤) صحيح البخاري : رقم الحديث : ٦٦١١ .
٤٥) النكت في إعجاز القرآن : ٧٦ .
٤٦) غريب الحديث : ٧٦.
٤٧) صحيح مسلم : رقم الحديث : ٢٨٢٢ .
٤٨) أدب الحديث النبوي ، يكري شيخ أمين ، دار الشروق ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٩م : ١٦٩ – ١٧٠ .
٤٩) صحيح البخاري : رقم الحديث : ٦٠٥٣ .
٥٠) جامع العلوم و الحكم : ٢/ ٣٧٨- ٣٧٩ .
٥١) سنن أبي داوود : رقم الحديث : ٤٩١٨ .
٥٢) المجازات النبوية : ٧١ .
٥٣) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، دار المطبوعات العربية : ٩٢ – ٩٣ .
٥٤) الأفلاذ : جمع فلذة ، أي القطعة .
٥٥) المجازات النبوية : ٨ .
٥٦) أسرار البلاغة :٣٣ .
٥٧) الحشا : مفرد الأحشاء و هو مادون الحجاب مما في البطن كله .
٥٨) النياط : عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه .
٥٩) المجازات النبوية : ٨ .
٦٠) المصدر نفسه :٩ .
٦١) صحيح مسلم : رقم الحديث : ٢٥٢٦ .
٦٢) الصورة الفنية،جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ، ط٣ ،١٩٩٢م : ٢٦١ – ٢٦٢ .
٦٣) اللجين : الفضة .
٦٤) النضار : الذهب .
٦٥) القار : القطران .
٦٦) النحائر : جمع نحيرة .
٦٧) المجازات النبوية : ٣٣ .
٦٨) دراسات في الفكر التربوي الإسلامي ، محمود خليل أبو دف ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ٢٠٠٧ م : ٥ (أطروحة دكتوراه) .
٦٩) استراتيجيات الخطاب : ٦٥.
٧٠) التربية الإسلامية بين الأصالة و المعاصرة، سعيد إسماعيل القاضي ، عالم الكتب ، بيروت ،٢٠٠٤م :٨ .
٧١) ينظر :استراتيجيات الخطاب :٦٦ .
٧٢) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي : ٢٠٠/١٣
٧٣) ينظر : استراتيجيات الخطاب :٣٢٢ .

٧٤) ينظر : الألسنية (علم اللغة الحديث – قراءة تمهيدية) ، د.ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ،ط٢ ، ١٩٨٥م: ٣٨ .
٧٥) ينظر : استيراتيجيات الخطاب : ٣٣٢ .
٧٦) ينظر : حفريات المعرفة ،ميشال فوكو :٩٦ .
٧٧) ينظر : تحويلات الطلب و محددات الدلالة – مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي ، حسام أحمد قاسم الشريف ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ٥٥- ٥٦.
٧٨) أصول السرخسي ،محمد بن أحمد السرخسي (ت ٤٩٠ ه)،تحقيق : أبو الوفا الأفغاني ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧٧ه : ١١/١ .
٧٩) ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه ، محمد بن أحمد بن علي السمرقندي (ت٥٣٩ ه) ، تحقيق : عبد الملك عبد الرحمن السعدي ، مطبعة الخلود ، بغداد ،١٩٨٧م : ١٩/١ ، و ينظر : تهذيب الأصول ،السيد عبد الأعلى السبزواري (ت ١٤١٤ه) ، مؤسسة المنار ، ط٣، ١٩٩٦م : ٥٢/١ .
٨٠) ينظر : إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : أبي حفص سامي بن العري الأثري ، دار الفضيلة للنشر ، الرياض ، ٢٠٠٠م :٤٣١/٢، و دروس في أصول فقه الإمامية ، د.عبد الهادي الفضلي ، مركز الغدير للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت ، ٢٠٠٧م : ٢٠٥/٢.
٨١) مفتاح العلوم ، السكاكي (ت ٦٩٦ ه)،ضبطه و علّق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨م : ٣١٨.
٨٢) صور الأمر في العربية بين التنظير و الاستعمال ، سعود بن غازي ، دار الغريب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ٥٣.
٨٣) ينظر : كفاية الأصول، الشيخ محمد كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩ه)، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤٢٣ه :٦٢.
٨٤) نظرية أفعال الكلام ، أوستين، ترجمة :عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، ١٩٩١م : ٩١ .
٨٥) مفتاح العلوم :٣١٨ .
٨٦) أصول التشريع الإسلامي ، علي حسب الله : ٢٥٣ .
٨٧) المستصفى ، الغزالي : ٣٩٦.
٨٨) المصدر نفسه و الصفحة نفسها .
٨٩) المصدر نفسه : ٣٩٧ .
٩٠) صحيح البخاري : ١/ ١٣٨ .
٩١) بحار الأنوار :٧٤/ ٢٣٤ .
٩٢) أمالي الصدوق : ٣٨٧.
٩٣) ينظر : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، المستشرق :هنري كوربان ،ترجمة : نصير مروة و حسن قبيسي، راجعه و قدّم له السيد موسى الصدر ، دار عويدات ، بيروت ، ط١ ،٢٠٠٤م :١٠٦ .
٩٤) صحيح البخاري :١/ ٥٤٠ .
٩٥) المصدر نفسه : ٣/ ١٠٦٦ .
٩٦) المصدر نفسه : ٣/ ١٠٤٦ .
٩٧) المصدر نفسه : ٣/ ١٢١ .
٩٨) روضة الواعظين : ١١/١ .
٩٩) ينظر : النظام التربوي في الإسلام – دراسة مقارنة ، الشيخ باقر شريف القرشي ، مكتبة الإمام الحسن (عليه السلام) العامة ، النجف الأشرف ، ط١ ، ١٤٢٧ه : ١٨٠ .
١٠٠) ينظر : أسماء الأفعال و أسماء الأصوات في اللغة العربية ،محمد عبد الله جبر، دار المعارف ، ١٩٨٩م :٢٥
١٠١) صحيح البخاري : ٧٥/١ .
١٠٢) ينظر : أسماء الأفعال و أسماء الأصوات في اللغة العربية : ١٣٤.
١٠٣) استراتيجيات الخطاب : ٣٤٨ .
١٠٤) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن :٨٢٦ – ٨٢٧ .

١٠٥) ينظر : لسان العرب : ٤/ ٤١ -٤٤ .
١٠٦) ينظر: المستصفى :٣/ ١١٩ ، و مفتاح الوصول : ١/ ٢٩٩ .
١٠٧) تهذيب الأصول : ١ / ٨٩ .
١٠٨) ينظر : مفتاح العلوم : ٣٢٠ ، و يذهب الأصوليون إلى أنّ النهي يفيد الفور ، ينظر : تهذيب الأصول : ١ / ٨٩
١٠٩) صحيح البخاري : ٢ / ٨٤ .
١١٠) المصدر نفسه : ٢ /٥٤٥ .
١١١) المصدر نفسه : ٤ / ١٤١٥ .
١١٢) المصدر نفسه : ٣ / ١١٥٦ .
١١٣) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٣٥١ .
١١٤) صحيح البخاري : ٤ /١٤٧١ .
١١٥) المصدر نفسه : ٣ / ١٢٢٧ .
١١٦) المصدر نفسه : ١ / ٤٣٠ .
١١٧) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٩٩٨ م : ٣ /٣٠٠ .
١١٨) المصدر نفسه و الصفحة نفسها .
١١٩) المصدر نفسه : ٢/٥٥٥ .
١٢٠) المصدر نفسه : ٢ / ٤٨٦ .
١٢١) مغني اللبيب ، ابن هشام الأنصاري : ١ / ٦٩ .
١٢٢) شرح المفصّل ، ابن يعيش الموصلي : ٨ / ١٤٤ .
١٢٣) مفتاح العلوم : ٣٠٧ .
١٢٤) صحيح البخاري : ٢ / ٥٢٩ .
١٢٥) المصدر نفسه : ٣ / ٥٨٤ .
١٢٦) المصدر نفسه : ٢ /٧١٢ .
١٢٧) مغني اللبيب : ١ : ٦٩ .
١٢٨) صحيح البخاري : ٢ / ٥٩٦ .
١٢٩) المصدر نفسه : ٢ / ٨٦٢ .
١٣٠) المصدر نفسه : ٣ / ٣٣٠ .
١٣١) المصدر نفسه : ١ / ٨٧ .
١٣٢) شرح ابن عقيل : ٣ / ٢٥٥ .
١٣٣) صحيح البخاري : ٤ / ١٣١٦ .
١٣٤) تاريخ دمشق ، ابن عساكر الشافعي : ٢ / ٤٥ ح ٥٤٥ ، وينظر : صحيح مسلم :٢ /٣٦٢ ، و كنز العمال ، المتقي الهندي : ١ / ١٦٨ .
١٣٥) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٣٦١ .
١٣٦) ينظر :الموافقات في أصول الشريعة ، أبو إسحاق الشاطبي ، تخريج : أحمد السيد أحمد علي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، ٢٠٠٦م : ١٢٩ – ١٣٠ .
١٣٧) صحيح البخاري : ١/ ٢٨٩ .
١٣٨) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي :١٣ / ٢٠٠ .
١٣٩) صحيح البخاري : ٢ / ٦٣٩ .
١٤٠) المصدر نفسه : ٤ / ٢٨٥ .
١٤١) المصدر نفسه : ٤ / ١٢٨٥ .
١٤٢) المصدر نفسه : ١ / ٣٦٩ .
١٤٣) المصدر نفسه : ١ / ٢٢ .
١٤٤) المصدر نفسه : ١ / ١١٠ .
١٤٥) المصدر نفسه : ٢ / ٨٦٠ .
١٤٦) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٣٦٥ .

The Guiding discourse in the prophetic Haduith under the pragmatic Linguistics

M. Hussein Ali Hussein Hassan
University of Baghdad

Abstract

The Noble Prophetic Hadith is a high ranking and a tremendous content text, it comes directly after the Holy Quran, and it is supplementing the religious laws and explaining what is still ambiguous

This subject was the great reason behind writing down this thesis entitle "The Guiding discourse in the prophetic Haduith under the pragmatic Linguistics", and I have divided it into four chapters preceded by an introductory, included the talking about Rhymed Prose, linguistically, and terminologically .

Chapters, the first chapter included the talking about the principles and structures of Rhymed Proses in Holy Quran, and it is a try to find a similar structures of it in Hadith. The second chapter included showing the rhythmic and aesthetic part of Rhymed Prose. While the third chapter gives the notions of Rhymed Prose's meanings in the prophetic Hadith.

I have reached also to rhymed proses exist in the Noble Prophetic Hadith, and they are similar to what it is revealed in the Holy Quran, and sometimes rhymed prose structures differ in form and structure found in the Holy Quran